دراسات في القرآن وتفسيره

الجزء الأول

أ.د. بدر بن ناصر البدر

الأستاذ بقسم القرآن وعلومه - كلية أصول الدين
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

دار الحضارة للنشر والتوزيع

Twitter: @almosahm

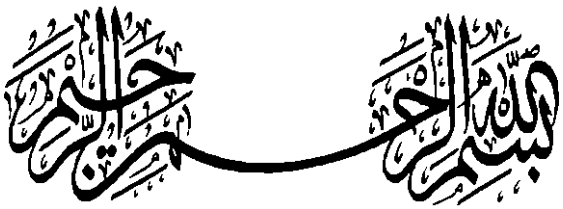

Twitter: @almosahm

ح دار الحضارة للنشر والتوزيع، ١٤٣١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

البدر، بدر ناصر

دراسات في القرآن وتفسيره (الجزء الأول)/ بدر ناصر البدر- الرياض١٤٣١هـ

٠٠ص ؛ ٠٠ سم

ردمك: ٩- ٨٩٠- ٥١- ٩٩٦٠- ٩٧٨

١- الوقف ٢- القرآن -مباحث عامة أ- العنوان

ديوي ٢٥٣,٩٠٢ ١٤٣١/٩٥٣٧

رقم الإيداع: ١٤٣١/٩٥٣٧هـ

ردمك: ٩- ٨٩٠- ٥١- ٩٩٦٠- ٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

دار الحضارة للنشر والتوزيع

ص.ب ١٠٢٨٢٣ الرياض ١١٦٨٥

هاتف: ٢٤٩٦٥٥٥ - ٢٧٨٧٣٣٣ فاكس: ٢٤٨٣٠٠٤

المستودع تلفون: ٢٤١٦١٣٩ فاكس: ٢٤٢٢٥٢٨

الرقم الموحد: ٩٢٠٠٠٠٩٠٨

Twitter: @almosahm

تأثر أبي حيان بالفخر الرازي

في تفسيره (البحر المحيط) واعتراضاته عليه [١]

(١) بحث محكم منشور في مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد: (٤٣)، سنة ١٤٢٤هـ.

Twitter: @almosahm

Twitter: @almosahm

المقدمة

الحمد لله رب العالمين إله الأولين والآخرين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد الأمين، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن الله أكرم هذه الأمة بأن أرسل إليها أفضل رسله وأنزل عليه خير كتبه القرآن الكريم، نوراً وهدى، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾[1]، وقد اجتهد علماؤنا من المفسرين وغيرهم في خدمة كتاب الله عز وجل والعناية به، في جميع المجالات، من حيث تفسيره وبيان أحكامه وآدابه، وإعرابه وبيان غريبه، والوقوف على نكاته ولطائفه، وقد يتأثر أحدهم بمن سبقه من الأئمة الأعلام مكتفياً بما نقله عنه، وربما كان لأحدهم شخصية واضحة وجهد مشكور من حيث حسن الانتقاء والإفادة من مصادره، وبروز شخصيته من حيث الاختيار والترجيح والاعتراض والمناقشة.

وقد رأيت في تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي كثرة نقوله عن الفخر الرازي المعزوة إليه وغير المعزوة في تفسيره التفسير

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٩.

Twitter: @almosahm

الكبير، وتأثره به ومواقفه الواضحة معه من حيث القبول والرفض، والمناقشة والاعتراض، وتتبعت هذا أكثر فوجدت مادة علمية تستحق الدراسة والبحث، فعقدت العزم مستعيناً بالله عز وجل على الكتابة في هذا الموضوع بعنوان: «تأثر أبي حيان بالفخر الرازي في تفسيره البحر المحيط واعتراضاته عليه».

ولم يغب عن ذهني صعوبة الكتابة في هذا الموضوع، لسعة مادته وتطلب القراءة في هذين التفسيرين العظيمين، والوقوف حكماً بين هذين الإمامين الجليلين اللذين أثريا المكتبة الإسلامية بالكتب النافعة والمصنفات المختلفة في علوم شتى، ومما زاد الأمر صعوبة مشقة القراءة في البحر المحيط، وكثرة الأخطاء المطبعية فيهما، ولكن مما خفف هذا الأمر علي وزادني نشاطاً حب النظر في تفسير كلام الله عز وجل والعيش في رحاب ما كتبه المفسرون في بيان معانيه واستنباط الأحكام منه، والإفادة من مناهجهم وطرائقهم في ذلك، وبخاصة الارتباط بمثل هؤلاء الأئمة الأعلام، الذين كانت لهم خدمة وعناية متميزة بكتاب الله عز وجل.

وقد جاءت خطة البحث كما يلي:

- المقدمة.
- الفصل الأول: الإمامان الفخر الرازي وأبو حيان الأندلسي وتفسيرهما .. وفيه مبحثان:
- المبحث الأول: الإمام الفخر الرازي وتفسيره التفسير الكبير

Twitter: @almosahm

المسمى مفاتيح الغيب، وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: الإمام الفخر الرازي.
- المطلب الثاني: تفسيره التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب.
- المبحث الثاني: الإمام أبو حيان الأندلسي وتفسيره البحر المحيط .. وفيه مطلبان:
- المطلب الأول: الإمام أبو حيان الأندلسي.
- المطلب الثاني: تفسيره البحر المحيط.
- الفصل الثاني: تأثر أبي حيان بالفخر الرازي في تفسيره البحر المحيط .. وفيه مباحث:
- المبحث الأول: تأثره به في المناسبات.
- المبحث الثاني: تأثره في نقل أقوال المفسرين.
- المبحث الثالث: تأثره به في تفسير الآيات وأسلوبه في ذلك.
- المبحث الرابع: تأثره به في علم الطبيعة والهيئة والفلك.
- المبحث الخامس: تأثره به في أصول الدين والرد على المعتزلة.
- المبحث السادس: تأثره به في أصول الفقه.
- الفصل الثالث: اعتراضات أبي حيان على الفخر الرازي في تفسيره البحر المحيط، وفيه مباحث:
- المبحث الأول: اعتراضه عليه منهجه في كتابة التفسير.
- المبحث الثاني: اعتراضه عليه ذكر أقوال الفلاسفة في التفسير وتحذيره منهم.

Twitter: @almosahm

- المبحث الثالث: جهل الرازي بالنحو عند أبي حيان ورده الشديد عليه.
- المبحث الرابع: اعتراضات أخرى.
- الخاتمة.
- ثبت المصادر والمراجع.

وقد حرصت على عدم الإطالة، فكنت أذكر المثال والمثالين والثلاثة عند الحاجة، محيلاً في الحاشية إلى الأمثلة الأخرى، كما حرصت أيضاً على عزو الآيات وتوثيق القراءات والنقول ونسبة الأقوال لأصحابها، وتركت ترجمة الأعلام خشية الإطالة، وعند العزو إلى تفسيريهما اكتفيت بالتصريح بهما أولاً ثم أحلت على أرقام الصفحات دون ذكر رقم المجلد مرة ثانية؛ لأنني ذكرته في بداية الحاشية خشية الإطالة.

وبعد فإنني لا أدعي الإحاطة والشمول بكتابتي في هذا الموضع، لكن هذا ما استطعته بعد قراءة متأنية مع بذل الجهد واستغلال الوقت في هذا العمل المبارك، واستغفر الله من تقصيري وخطئي.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا من أهل القرآن، وأن يجعله شفيعاً لنا يوم القيامة .. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

Twitter: @almosahm

الفصل الأول:

الإمامان الفخر الرازي وأبو حيان الأندلسي وتفسيرهما

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الإمام الفخر الرازي وتفسيره الكبير المسمى مفاتيح الغيب، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الإمام الفخر الرازي [١]

اسمه ونسبه:

هو أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسين بن علي التيمي من ذرية أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – القرشي فخر الدين الرازي، المشهور بابن خطيب الري.

ولادته ونشأته:

ولد الفخر الرازي في الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة ٥٤٣هـ وقيل سنة ٥٤٥هـ بالري، في بيت علم وفضل وصلاح، فوالده

(١) ينظر لترجمته: وفيات الأعيان ٤/ ٢٤٨، طبقات الشافعية الكبرى ٨/ ٨١، البداية والنهاية: ١٣/ ٦٠، الوافي بالوفيات ٤/ ٢٤٨، شذرات الذهب ٥/ ٢١، النجوم الزاهرة: ٦/ ١٩٧.

Twitter: @almosahm

ضياء الدين من أئمة الشافعية وأحد الفصحاء الأدباء، فتربى الفخر الرازي على يدي والده، الذي أولاه كل رعاية وعناية، فلازمه ودرس عليه الفقه والأصول، ثم رحل في طلب العلم والمعيشة سنين طويلة، بدأ أولاً بالتوجه إلى خوارزم، ثم قصد بخارى سنة ٥٨٠هـ، ثم انتقل إلى سمرقند وغزنه وبلاد الهند، ثم عاد إلى بخارى، ثم استقر مقامه بموطنه الأصلي الري، وكان في رحلاته وإقامته بتلك البلاد شغوفاً بطلب العلم والأخذ عن الشيوخ والتعرف على تلك البلاد وعادات أهلها، مقدراً محترماً بين الولاة والأمراء فيها، فأكرموه وأجلوه ووصلوه بالعطايا وبالغوا في إكرامه، وبنوا له المدارس.

شيوخه وتلاميذه:

ذكرت آنفاً أن أول طلب الرازي العلم كان على والده الذي لازمه وأفاد من علومه إلى أن مات، ثم قصد الكمال السمناني، وتفقه على يده مدةً ثم على المجد الجيلي، وغيرهم.

فلما تمهر في العلوم ونال من جميع المعارف حظاً كبيراً قصده الطلاب من البلاد وشدت إليه الرحال من الأقطار، وكان يحضر دروسه الأفاضل الأكابر، منهم تلميذه شرف الدين محمد بن عنين، وأبو عبدالله الحسن الواسطي، وإبراهيم بن أبي بكر

Twitter: @almosahm

الأصبهاني، والقطب الطوعاني، وشمس الدين محمد الوتار الموصلي وعبدالحميد الخسر وشاهي، وكان إذا ركب مشى حوله نحو ثلاثمائة من الفقهاء وغيرهم، لذا فقد كان يلقب بشيخ الإسلام، يقول السبكي: «وكان شديد الحرص جداً في العلوم، وأصحابه أكثر الخلق تعظيماً له وتأدباً معه، له عندهم المهابة الوافرة»[(١)].

سعة علومه وتنوع معارفه:

نشطت الحركة العلمية بالبلاد الفارسية خلال القرن السادس، وتنوعت العلوم وكثرت التصانيف في شتى الفنون، وهو العصر الذي عاش فيه الرازي، فأفاد من هذه الثقافات واتصل بتلك العلوم اتصالاً مباشراً، حتى انعكست على شخصيته العلمية وطبعتها بالطابع الموسوعي، فكان بحق من علماء عصره في التفسير والفقه وأصوله والمنطق والفلسفة وعلم الكلام، والمذاهب الكلامية والرياضيات والهندسة، والطب والحكمة والهيئة والفلك وعلوم اللغة والأدب وله شعر، وقد حظي بأعلى المراتب وأسماها لدى كثير من ملوك زمانه وأهل العلم وطلابه، فكان يلقب بينهم بشيخ الإسلام وبالإمام، وإلى جانب تبحره في مختلف العلوم فقد كان

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى ٨/ ٨٦.

Twitter: @almosahm

صاحب دين وصلاح، ووعظ وتذكير باللسان العربي والفارسي، يكثر البكاء ويبكي سامعيه [١].

عقيدته ومذهبه الفقهي:

الإمام الفخر الرازي أشعري المعتقد، ينهج طريقة أهل الكلام والفلسفة في أصول الدين، وقد أكثر الرد على المعتزلة، وهذا ظاهر في تفسيره، كما كان بينه وبين الكرامية القائلين بالتشبيه ردود طويلة، ينال منهم وينالون منه سباً وعيباً، حتى قيل: إنهم وضعوا عليه من سقاه سماً فمات ففرحوا بموته.

وقد اشتهر عنه أنه رجع إلى مذهب أهل السنة والجماعة ولزم طريقتهم وندم على ما فات منه، وله في ذلك أبيات منها:

نهايـــة إقـــدام العقـــول عقـــال ... وأكثـــر ســـعي العـــالمين ضـــلال
وأرواحنـــا في وحـــشة مـــن جـــسومنا ... وحاصـــل دنيانـــا أذى ووبـــال
ولم نـستفد من بحثنـا طـول عمرنـا ... سـوى أن جمعنـا فيـه قيـل وقـالوا

وروي عنه قوله: «يا ليتني لم أشتغل بعلم الكلام» ثم بكى، وروي عنه قوله: «لقد اختبرت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فلم أجدها تروي غليلاً ولا تشفي عليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، اقرأ في الإثبات» ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾،

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى ٨/ ٨٦.

Twitter: @almosahm

﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ ﴾ وفي النفي ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ ، وكان يقول: «من لزم مذهب العجائز كان هو الفائز»، وقد جاء في وصيته عند موته أنه رجع عن مذهب أهل الكلام إلى طريقة السلف، والتسليم لما ورد على الوجه اللائق به سبحانه [١].

أما مذهبه الفقهي فهو من كبار أئمة الشافعية، يقول عنه ابن كثير: «أحد الفقهاء الشافعية المشاهير بالتصانيف الكبار والصغار» [٢] ، فله مناقب الشافعي، شرح الوجيز في الفقه للغزالي، والمحصول في أصول الفقه، وهو من أهم كتب الأصول عند الشافعية خاصة وفي أصول الفقه عامة، وفي الأغلب يختار مذهب الشافعية ويرجح آراءهم في تفسيره.

مؤلفاته:

خلف الفخر الرازي الكثير من الكتب والتآليف في شتى العلوم والفنون، يقول ابن خلكان: «له التصانيف المفيدة في فنون عديدة .. وكل كتبه ممتعة، وانتشرت تصانيفه في البلاد، ورزق فيها سعادة عظيمة، فإن الناس اشتغلوا بها ورفضوا كتب المتقدمين، وهو أول

---

(١) ينظر لما سبق: وفيات الأعيان ٤/ ٢٥٠، البداية والنهاية ١٣/ ٦٠-٦١.

(٢) البداية والنهاية ١٣/ ٦٠.

Twitter: @almosahm

من اخترع هذا الترتيب في كتبه، وأتى فيها بما لم يسبق إليه»[(١)].

ومن أوسع كتبه التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب، ومناقب الشافعي والمحصول في أصول الفقه، وشرح الوجيز للغزالي، وتأسيس التقديس، والمعالم في أصول الدين، والمعالم في أصول الفقه، والملخص في الفلسفة، وشرح سقط الزند لأبي العلاء، وكتاب الملل والنحل، وغير ذلك كثير، فقد ذكر ابن كثير أن له أكثر من مائتي مصنف ما بين صغير وكبير[(٢)].

وفاته وأقوال العلماء فيه:

توفي الفخر الرازي يوم الاثنين في عيد الفطر سنة ست وستمائة من الهجرة بمدينة هراة، قال عنه ابن خلكان: «فريد عصره، ونسيج وحده، فاق أهل زمانه في الكلام والمعقولات وعلم الأوائل، ومناقبه أكثر من أن تعد، وفضائله لا تحصى ولا تعد»[(٣)].

وقال السبكي: «إمام المتكلمين ذو الباع الواسع في تعليق العلوم، والاجتماع بالشاسع من حقائق المنطوق والمفهوم»[(٤)].

(١) وفيات الأعيان ٤/ ٢٤٩.

(٢) ينظر لمؤلفاته: الرازي مفسراً ٣٥-٤٧.

(٣) وفيات الأعيان: ٤/ ٦٠.

(٤) طبقات الشافعية ٨/ ٨١-٨٢.

Twitter: @almosahm

المطلب الثاني:

التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب

تاريخ كتابته:

لا يمكن الجزم بمعرفة تاريخ بداية كتابة الرازي تفسيره لأنه كتب تفسير الفاتحة في جزء ضخم مستقل عن بقية أجزاء التفسير ثم أضافه إلى تفسيره، وأيضاً سورة البقرة لم يؤرخ تفسيره لها، وأول تاريخ يواجهنا هو تاريخ تفسيره سورة آل عمران، حيث انتهى من تفسيرها في اليوم الأول من ربيع الآخر سنة ٥٩٥هـ، والظاهر من التواريخ الموجودة في نهاية بعض السور أنه لم يفسر القرآن جملة واحدة بل كان مفرقاً في سنين، ولم يراع أيضاً ترتيب السور حين كان يفسرها، وقد ترك وضع التواريخ في نهايات بعض السور، وآخر تاريخ ذكره هو في نهاية تفسير سورة الأحقاف هو يوم الأربعاء العشرون من ذي الحجة سنة ٦٠٣هـ [(١)].

نسبة تفسيره إليه كاملاً:

ذكر بعض المتقدمين أن الفخر الرازي لم يكمل تفسيره، على خلاف بينهم فيمن أكمله وإلى أي حد وصل الرازي في تفسيره،

---

(١) ينظر: الرازي مفسراً ٥١-٥٢.

Twitter: @almosahm

فقد قال ابن حلكان: «له التصانيف المفيدة في فنون عديدة، منها تفسير القرآن الكريم، جمع فيه كل غريب وغريبة، وهو كبير جداً لكنه لم يكمله» (١). وقال ابن قاضي شهبة: «ومن تصانيفه تفسير كبير لم يتمه، في اثني عشر مجلداً كباراً، أسماه مفاتيح الغيب» (٢)، وقال ابن حجر: «إن الذي أكمل تفسير الرازي هو أحمد بن محمد بن أبي الحزم مكي نجم الدين المخزومي القمولي المصري الذي توفي سنة ٧٢٧هـ» (٣)، وقال حاجي خليفة: «وصنف الشيخ نجم الدين أحمد بن محمد القمولي تكملةً له وتوفي سنة ٧٢٧هـ، وقاضي القضاة شهاب الدين بن خليل الخويي الدمشقي، كمل ما نقص منه أيضاً، وتوفي سنة ٦٣٩هـ» (٤).

وقد اختلفت آراء المعاصرين في هذه المسألة وكيفية الجمع بين ما قيل عنه والإجابة عن الإشكالات التي تورد على كل قول، وأقربها عندي – والعلم عند الله سبحانه وتعالى – ما ذهب إليه الدكتور محسن عبدالحميد وغيره وهو أن التفسير الكبير من أوّل تفسير سورة الفاتحة إلى آخر تفسير سورة الناس له وليس لغيره،

---

(١) وفيات الأعيان ٤/ ٢٤٩.

(٢) شذرات الذهب ٥/ ٢١.

(٣) الدرر الكامنة ١/ ٣٠٤.

(٤) كشف الظنون ٢/ ٢٩٩، التفسير ورجاله ٩٥-١٠١.

Twitter: @almosahm

وقد أطال الحديث في التدليل على صحة ما ذهب إليه، والإجابة عن أقوال الآخرين، بعد قراءته للتفسير كله [١].

غرضه من تأليفه:

عاش الفخر الرازي في زمن تفشى فيه مذهب الكرامية وبخاصة في بلاده وما جاورها، ولاحظ إقبال الكثير من الناس على تفسير الكشاف للزمخشري الذي أحيا فيه مذهب المعتزلة وناصره وأعلنه، وأدرك ما فيه من خطر على دينهم وعقولهم، فهو تفسير يعنى بالإعجاز البياني اللغوي ويغلب عليه الطابع العقلي والمذهب الاعتزالي، وقد لمس الرازي شغف الناس بهذا التفسير وما فيه من آراء، فتصدى لمجابهتها وناظر بعض المتحمسين لها، ثم ألف تفسيره مفنداً فيه ما ورد في الكشاف من التأويل ونصرة مذهب المعتزلة، ومبرزاً أوجهاً من الإعجاز القرآني في إشاراته الكونية وآياته العلمية، دفاعاً عن القرآن واستدلالاً على أنه من الله سبحانه، وحديث الرازي عن الأمور العقلية في تفسيره وخوضه في المسائل الفلسفية إنما كان لتقوية الدين وتوريث اليقين، وإزالة الشكوك والشبهات، وإبطال الجهالات والضلالات، التي احتوتها تفاسير المعتزلة كالكشاف وغيره، مع الرد على المذاهب الضالة الأخرى

---

(١) الرازي مفسراً، وانظر التفسير والمفسرون ١/ ٢٩١، بحث حول تفسير الرازي: ١٠١-١٣٤.

Twitter: @almosahm

كالشيعة الذين كان لهم مكان ونفوذ في تلك البلاد [١].

مصادره في تفسيره:

اعتمد الرازي في كتابة تفسيره على مصادر كثيرة، متنوعة، العلوم متعددة المعارف، مع ظهور شخصيته في الانتقاء والاختيار والترجيح.

ويمكن تصنيف مصادره فيما يلي:

أولاً: التفسير بالمأثور: اعتمد الرازي على أقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم في التفسير، كالمروي عن ابن عباس وابن مسعود ومجاهد وقتادة وعطاء وغيرهم، نقل عنهم معاني الكلمات وتفسير الآيات وأسباب النزول والقراءات والأخبار وغير ذلك، مع التعقيب عليها بالترجيح والاختيار والتوجيه، وكان يعتمد في ذلك على تفسير الطبري (جامع البيان)، و(الكشف والبيان) للثعلبي.

ثانياً: التفسير اللغوي: اعتمد فيه على جملة من كتب معاني القرآن وإعرابه وبيان مشكله وتوجيه قراءاته وبيان غريبه مع الاختيار والاختصار وحسن الانتقاء والترتيب،

---

(١) ينظر الحاشية السابقة.

Twitter: @almosahm

ومن تلك الكتب: معاني القرآن للفراء، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج، والبسيط للواحدي، والكشاف للزمخشري.

ثالثاً: المصادر الأشعرية: أفاد الرازي مما كتبه علماء الأشاعرة في التفسير وبيان أحكام الآيات واستنباط الدقائق واللطائف منها، ومن هؤلاء الأعلام أبو بكر محمد بن أحمد الشاشي القفال والغزالي.

رابعاً: تفسير آيات الأحكام:

اعتنى الرازي بذكر مذاهب الأئمة الفقهاء وأقوالهم وأدلتهم في تفسير آيات الأحكام، معتمداً في ذلك على كتب التفسير كأحكام القرآن للجصاص الحنفي وكتب الفقهاء، مع الاختيار والترجيح والإجابة عن أدلة المذاهب الأخرى.

مادته العلمية وأسلوبه في عرضها:

حظي التفسير الكبير بشهرة واسعة بين الناس؛ لأنه امتاز عن غيره من كتب التفسير بالعلوم الكثيرة والأبحاث الواسعة في نواحٍ شتى من المعارف المتنوعة فهو يبدأ تفسير الآيات بذكر المناسبات بينها وقد لا يكتفي بذكر وجه واحد منها بل يذكر أكثر من ذلك، ثم يذكر ما ورد عن النبي ﷺ وأقوال المفسرين من الصحابة

Twitter: @almosahm

والتابعين ومن بعدهم في ذكر معاني مفردات الآية وتفسيرها، ويذكر القراءات معزوة إلى قرائها وتوجيهها لغة ومعنى، وكان يكثر الاستطراد في المسائل الكلامية والاستدلال بها على أصول الدين وإثبات المعاد ونحو ذلك من العلوم الرياضية والطبيعية والفلكية ويطيل في الاستنباطات والتفريعات، وقد استنكر على من أنكر عليه هذا المنهج، حيث قال في أول تفسير سورة الفاتحة: «أعلم أنه مر على لساني في بعض الأوقات أن هذه السورة الكريمة يمكن أن يستنبط من فوائدها ونفائسها عشرة آلاف مسألة، فاستبعد هذا بعض الحساد، وقوم من أهل الجهل والغي والعناد، وحملوا ذلك على ما ألفوه من أنفسهم من التعلقات الفارغة عن المعاني، والكلمات الخالية عن تحقيق المعاقد والمباني» [(١)]، وقال أيضاً: «ربما جاء بعض الجهال والحمقى وقال: إنك أكثرت في تفسير كتاب الله من علم الهيئة والنجوم وذلك على خلاف المعتاد، فيقال لهذا المسكين: إنك لو تأملت في كتاب الله حق التأمل لعرفت فساد ما ذكرته ..

فلكثرة الدلائل وتواليها أثر عظيم في تقوية اليقين وإزالة الشبهات، وإذا كان الأمر كذلك ظهر أنه تعالى إنما أنزل الكتاب لهذه الفوائد والأسرار، لا لتكثير النحو والغريب

(١) التفسير الكبير ١/ ١١.

Twitter: @almosahm

والاشتقاقات الخالية عن الفوائد والحكايات الفاسدة [١].

ويعرض أقوال الفلاسفة وقد يسميهم حكماء الإسلام، ويناقش استدلالاتهم العقلية، وكان لا يدع مذهب المعتزلة وما يقررونه من مسائل علم الكلام وتأويل الآيات حتى توافق أصولهم وعقيدتهم، فيذكر أقوالهم وحججهم ويرد عليها، وقد يورد شبههم ويتوسع في ذلك ثم يضعف أو يقصر في الرد عليها ولهذا قال الحافظ ابن حجر: «وكان يعاب بإيراد الشبهة الشديدة ويقصر في حلها، حتى قال بعض المغاربة: يورد الشبه نقداً ويحلها نسيئة» [٢]، وقال ابن كثير: «ومنها: أنه كان يقرر الشبهة من جهة الخصوم بعبارات كثيرة، ويجيب عن ذلك بأدنى إشارة وغير ذلك» [٣].

وكان يذكر مذاهب الفقهاء في تفسير آيات الأحكام مع ترجيح مذهب الشافعي بالأدلة والبراهين في الغالب، ويذكر المسائل الأصولية والقواعد الفقهية وقد يستطرد في ذلك.

ولم يخل تفسيره من ذكر المسائل النحوية والنكات البلاغية واللطائف البيانية، وإن كان لا يتوسع في ذلك توسعه في مسائل العلوم الكونية والطبيعية التي تغلب عليه، ولذلك قال ابن خلكان:

---

(١) التفسير الكبير ١٤/ ١١٩-١٢٢.

(٢) لسان الميزان ٤/ ٤٢٧.

(٣) البداية والنهاية ١٣/ ٦١.

Twitter: @almosahm

«جمع فيه كل غريب وغريبة»، وقال أبو حيان: «جمع الإمام الرازي في تفسيره أشياء كثيرة طويلة لا حاجة بها في علم التفسير، ولذلك قال بعض العلماء: فيه كل شيء إلا التفسير» (١)، وقال حاجي خليفة: «إن الإمام فخر الدين الرازي ملأ تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة، وخرج من شيء إلى شيء، حتى يقضي الناظر العجب».

وعلى الرغم من كثرة المسائل التي حواها تفسيره وصعوبة بعضها وتشعب فروعها، فقد تميز أسلوبه في عرضها وبيانها بسهولة اللفظ وسلامة التعبير، مع استعمال المترادفات والحرص على ترابط الأفكار مع العناية بالتقسيم والتبويب، وذكر المسائل المتتابعة في قالب علمي تقريري، وهذا ما أشار إليه ابن خلكان بقوله: «وهو أول من اخترع هذا الترتيب في كتبه، وأتى فيها بما لم يسبق إليه»، وفي هذا يقول ابن عاشور: «فأصبح علماً مفرداً في الجمع والمزج بين الفنون وسهولة هضم بعضها ببعض، وبذلك علت سمعته وعظم صيته، وتمكن من سلوك طريقة في التأليف والبحث والعرض انفرد بها، وأفاد منها كل فن من خصائص الفن الآخر» (٢).

تأثيره فيمن بعده:

للتفسير الكبير مكانة جليلة بين كتب التفسير، فكان له

---

(١) البحر المحيط ١/ ٤٣١.

(٢) التفسير ورجاله ٨٢-٨٣.

Twitter: @almosahm

الأثر الواضح فيمن بعده، حيث أفاد منه من جاء بعده من المفسرين، يكثر هذا في بعض التفاسير حتى يكون سمة غالبة عليها من حيث كثرة النقل عنه أو تلخيص ما عنده، مثل ما جاء في تفسير البحر المحيط لأبي حيان، وتفسير أنوار التنزيل للبيضاوي، وأنوار الحقائق الربانية في تفسير اللطائف القرآنية لأبي الثناء الأصفهاني، وغرائب الفرقان للحسين بن محمد القمي النيسابوري، وروح المعاني للألوسي، وتفسير المنار لمحمد شيد رضا، وقد يكون لبعضهم مواقف منه بالمناقشة والتوجيه والترجيح والاختيار منهم أبو حيان في تفسيره البحر المحيط، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى[1].

(١) ينظر للتوسع: الرازي مفسراً ٥١-٢٢٧، الإمام الحكيم فخر الدين الرازي: ٥٤-٩٢.

Twitter: @almosahm

المبحث الثاني:

الإمام أبو حيان الأندلسي وتفسيره البحر المحيط

وفيه مطلبان:

المطلب الأول:

الإمام أبو حيان الأندلسي [1]

اسمه ونسبه: أبو حيان أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن حيان النفزي الجياني الأندلسي.

ولادته ونشأته:

ولد أبو حيان بـ«مُطْخَشَارِشْ» إحدى حواضر غرناطة في آخريات شوّال سنة أربع وخمسين وستمائة ٦٥٤هـ.

نشأ أبو حيان في غرناطة أكبر مدن الأندلس التي قامت بها مملكة غرناطة في القرن السابع الهجري، فجددت النشاط العلمي

---

(١) لم أتوسع في هذا المبحث؛ لأن لي دراسة مستقلة في كتاب مطبوع بعنوان: أبو حيان وتفسيره البحر المحيط، من منشورات مكتبة الرشد بالرياض، وينظر لترجمته: طبقات الشافعية الكبرى ٦/ ٢٧٩ الوافي بالوفيات ٥/ ٢٦٧، نفح الطيب ٢/ ٥٣٥، معرفة القراء الكبار ٢/ ٧٢٣، الدرر الكامنة ٤/ ٣٠٢ بغية الوعاة ١/ ٢٨٠، وغيرها.

Twitter: @almosahm

والفكري، فكانت موئل العلماء كافة في جميع العلوم والفنون، فتلقى أبو حيان علومه الأولى فيها على شيوخ عصره، فقرأ بها القراءات والنحو واللغة، ثم تنقل في مدن الأندلس، طالباً للعلم مجتهداً في تحصيل المعارف.

يقول عنه تلميذه الصفدي: «واجتهد وطلب وحصل وكتب وقيد، ولم أر في أشياخي أكثر اشتغالاً منه لأني لم أره إلا يسمع أو يشتغل أو يكتب، ولم أره على غير ذلك، وله إقبال على الطلبة الأذكياء، وعنده تعظيم لهم .. وهو ثبت فيما ينقله محرر لما يقوله، عارف باللغة ضابط لألفاظها، وأما النحو والتصريف فهو إمام الدنيا فيهما، لم يذكر معه في أقطار الأرض غيره في العربية، وله اليد الطولى في التفسير والحديث والشروط والفروع وتراجم الناس وطبقاتهم وتواريخهم وحوادثهم»[(١)].

رحلاته:

تنقل أبو حيان في بلاد الأندلس ثم في بلاد المغرب ثم شمال إفريقيا حتى حط رحاله بالقاهرة، وقد مر خلال هذه الرحلة العلمية، تعلماً وتعليماً، طلباً وتدريساً بالعديد من المدن والحواضر الإسلامية مثل: مالقة والمرية وتونس والإسكندرية ومكة وجدة والقاهرة.

---

(١) الوافي بالوفيات ٥/ ٢٦٧-٢٦٨.

Twitter: @almosahm

وقد اختلف في الأسباب التي جعلت أبا حيان يترك بلاده ويرحل عنها إلى المغرب ثم إلى المشرق، منها ما ذكره السيوطي أنه رأى في كتاب أبي حيان «النُضار» أنه مما قوى عزمه على الرحلة عن غرناطة أن بعض العلماء بالمنطق والفلسفة والعلوم الرياضية والطبيعية قال للسلطان: «إني قد كبرت وأخاف أن أموت، فأرى أن ترتب لي طلبة أعلمهم هذه العلوم لينفعوا السلطان من بعدي، قال أبو حيان: فأشير إلي أن أكون من أولئك، ويرتب لي راتب جيد وكسا وإحسان، فتمنعت ورحلت مخافة أن أكره على ذلك»[(١)].

وقد استفاد أبو حيان من هذه الرحلات، حيث تعددت شيوخه وتنوعت معارفه واتسعت علومه، مما كان له الأثر الواضح في بناء شخصيته العلمية، وقد نال في القاهرة عاصمة المماليك البحرية آنذاك سنة ٦٨٠هـ، منزلة عالية ومكانة مرموقة، فأسند إليه تدريس التفسير والحديث بالمدرسة المنصورية، ودراسة الإقراء بالجامع الأقمر والجامع الحاكمي، يقول لسان الدين ابن الخطيب: «ونالته نبوة لحق بسببها بالمشرق، واستقر بمصر، فنال بها ما شاء من عز وشهرة وتأثل وافر وحظوة»[(٢)].

---

(١) بغية الوعاة ١/ ٢٨١.

(٢) الإحاطة في أخبار غرناطة ٣/ ٤٣.

Twitter: @almosahm

شيوخه وتلاميذه:

إن الناظر في حياة أبي حيان يرى أنه أمام إمام كبير متعدد الجوانب العلمية، فهو عالم بالتفسير والحديث، إمام في اللغة والنحو والتصريف وغير ذلك، وإن نظرة في شيوخه تعطينا مدى ما وصل إليه من معرفة واطلاع واسع، يقول عن نفسه: «وجملة من سمعت منهم خمسمائة، والمجيزون أكثر من ألف» (١)، ومن أشهرهم: أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي، وأبو جعفر أحمد بن عبدالنور المالقي، وابن الطباع أحمد بن علي الرعيني، وأبو الحسن حازم بن محمد القرطاجني، وعبد المؤمن بن خلف الدمياطي، وأبو الحسين عبيد الله بن أحمد بن أبي الربيع الإشبيلي، وغيرهم.

وقد جلس أبو حيان لإقراء الطلاب فالتف حوله تلاميذ كثر، ينهلون من علومه ويدرسون على يديه، يقول تلميذه تاج الدين السبكي: «وكان الشيخ أبو حيان إماماً منتفعاً به، اتفق أهل العصر على تقديمه وإمامته، ونشأت أولادهم على حفظ مختصراته، وآباؤهم على النظر في مبسوطاته، وضربت الأمثال باسمه، مع صدق اللهجة، وكثرة الإتقان والتحري» (٢)، ومن

---

(١) نفح الطيب ٢/ ٥٦٠.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى ٩/ ٢٧٩.

Twitter: @almosahm

أشهر تلاميذه: إبراهيم بن محمد السفاقسي، وأحمد بن عبدالقادر بن مكتوم، وعلي بن عبدالكافي السبكي وأبناؤه، أحمد والحسين وعبدالوهاب، وأحمد بن يوسف الحلبي المعروف بالسمين وعبدالرحيم بن الحسن الإسنوي، وعبدالعزيز بن محمد بن جماعة الكناني، وصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي وغيرهم.

عقيدته ومذهبه الفقهي:

ذكر من ترجم لأبي حيان أنه أشعري المعتقد سالم من البدع الفلسفية والكلامية يرفض مذهب الاعتزال ويرد على أصحابه تأويلاتهم آيات القرآن الكريم، وكان يشنع على فلاسفة زمانه ومتصوفته وما ورثوه عن علمائهم من معتقدات ضالة وأقوال باطلة، وهذا ظاهر في تفسيره البحر المحيط.

أما عن مذهبه الفقهي فقد كان مالكياً في أول أمره ثم تمذهب بالظاهرية إبان إقامته بالأندلس، حيث كان هذا المذهب منتشراً هناك، وكان يقول: «محال أن يرجع عن مذهب الظاهرية من علق بذهنه»[1]، وعندما جاء إلى مصر أخذ بمذهب الشافعي الذي كان مشهوراً في تلك البلاد.

---

(١) الدرر الكامنة، ٤/ ٣٠٤.

Twitter: @almosahm

مؤلفاته:

صنف أبو حيان في علوم متعددة كالتفسير والقراءات والفقه والحديث والنحو والصرف والأدب واللغة، بل وفي اللغات الأخرى، وهي تزيد على الخمسين ما بين مطبوع ومخطوط ومفقود، فمن المطبوع: تفسيره البحر المحيط، وارتشاف الضرب من لسان العرب، وتحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، وتذكرة الحفاظ، والنهر الماد من البحر المحيط، وغيرها.

وفاته:

توفي أبو حيان عشية يوم السبت الثامن والعشرين من صفر سنة ٧٤٥هـ في القاهرة. وقد كان لوفاته أثر بالغ في نفوس تلاميذه وأصحابه، فرثوه بقصائد كثيرة، من أشهرها قصيدة تلميذه الصفدي التي أولها:

مات أثير الدين شيخ الورى ... فاستعر البارق واستعبرا

ورق من حزن نسيم الصبا ... واعتل في الأسحار لما سرى

Twitter: @almosahm

المطلب الثاني:

تفسيره البحر المحيط

من أجل ما صنف أبو حيان تفسيره البحر المحيط، يقول عنه ابن الجزري: «له التفسير الذي لم يسبق إلى مثله سماه البحر المحيط في عشر مجلدات كبار، واختصره في ثلاث مجلدات، سماه النهر»[1].

زمن تأليف الكتاب ومكانه:

ذكر أبو حيان في مقدمة تفسيره زمن تأليف تفسيره ومكانه وذلك أواخر سنة عشر وسبعمائة، ومكانه بمصر في دولة المماليك.

مصادره:

رجع أبو حيان في كتابة تفسيره إلى الكثير من الكتب في القراءات والتفسير، والنحو والتصريف واللغة والحديث وعلم الكلام والفقه وأصوله وغير ذلك، وإن قراءة متأنية في تفسيره تعطي الدارس إلماماً بمصادره التي رجع إليها وما ضمه من نقولات وإحالات على كتب لا تزال مخطوطة أو مفقودة إلى الآن.

ولا شك أن هذه المصادر أثرت كتابه ونوعت مادته العلمية، مع ما كان له فيه من شخصية واضحة، فمن مصادره في القراءات

---

(١) ينظر: غاية النهاية: ٢/ ٢٨٦.

Twitter: @almosahm

وتوجيهها: الإقناع في القراءات السبع لابن الباذش، والإقناع في القراءات الشاذة للأهوازي: والتذكار في القراءات العشر للبغدادي، والحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي، وفي اللغة: الأمالي الشجرية، وأمالي ثعلب، وفي التفسير: التفسير الكبير للرازي والجامع لأحكام القرآن للقرطبي، والتحرير والتحبير لابن النقيب، والكشاف للزمخشري، والمحرر الوجيز لابن عطية، وفي النحو. الكتاب لسيبويه، والبسيط لابن أبي الربيع، والتسهيل لابن مالك واللباب للأسفراييني، وغير ذلك.

مادته العلمية:

جمع أبو حيان في تفسيره مادة علمية غزيرة الفنون متنوعة المعارف، حتى صار تفسيره من مراجع التفسير الرئيسة، فقد جمع فيه القراءات المتواترة والشاذة معزوة لقرائها في الغالب مع توجيهها والدفاع عنها والرد على الطاعنين فيها، وعني أيضاً باللغة والنحو والتصريف، فيذكر معاني المفردات بالتفصيل في أول موضع ترد فيه الكلمة ويذكر لهجات القبائل، والوجوه الإعرابية التي تحتملها الآية مع الاختيار والترجيح.

واعتنى فيه أيضاً بالرد على المعتزلة، وبخاصة الزمخشري، مع عنايته بعلم الكلام وأصول الدين، وكان يذكر مذاهب الفقهاء وحججهم وأدلتهم في تفسير آيات الأحكام، وغير ذلك.

Twitter: @almosahm

منهجه في تفسيره:

أبان أبو حيان عن منهجه في تفسيره بقوله: «وترتيبي في هذا الكتاب أني ابتدئ أولاً بالكلام على مفردات الآية التي أفسرها لفظة لفظة فيما يحتاج إليه من اللغة، والأحكام النحوية التي لتلك اللفظة قبل التركيب، وإذا كان للكلمة معنيان أو معان ذكرت ذلك في أول موضع فيه تلك الكلمة؛ لينظر ما يناسب لها من تلك المعاني في كل موضع تقع فيه، فيحمل عليه.

ثم أشرع في تفسير الآية ذاكراً سبب نزولها، إذا كان لها سبب، ونسخها ومناسبتها وارتباطها بما قبلها، حاشداً فيها القراءات شاذها ومستعملها، ذاكراً توجيه ذلك في علم العربية، ناقلاً أقاويل السلف والخلف في فهم معانيها، متكلماً على جليها وخفيها، بحيث إني لا أغادر منها كلمة، وإن اشتهرت حتى أتكلم عليها، مبدياً ما فيها من غوامض الإعراب، ودقائق الآداب، من بديع وبيان، مجتهداً أني لا أكرر الكلام في لفظ سبق، ولا في جملة تقدم الكلام عليها، ولا في آية فسرت، بل أذكر في كثير منها الحوالة على الموضع الذي تكلم فيه على تلك اللفظة أو الجملة أو الآية، وإن عرض تكرير فبمزيد فائدة، ناقلاً أقاويل الفقهاء الأربعة وغيرهم في الأحكام الشرعية مما فيه تعلق باللفظ القرآني، محيلاً على الدلائل التي في كتب الفقه، وكذلك ما

Twitter: @almosahm

نذكره من القواعد النحوية أحيل في تقريرها والاستدلال عليها على كتب النحو.

وربما أذكر الدليل إذا كان الحكم غريباً، أو خلاف مشهور ما قاله معظم الناس بادئاً بمقتضى الدليل، وما دل عليه ظاهر اللفظ، مرجحاً (بذلك) [(١)] ما لم يصد عن الظاهر ما يجب إخراجه به عنه منكباً في الإعراب عن الوجوه التي ينزه القرآن عنها مبيناً أنها مما يجب أن يعدل عنه، وأنه ينبغي أن يحمل على أحسن إعراب وأحسن تركيب، إذ كلام الله تعالى أفضل الكلام، فلا يجوز فيه ما يجوزه النحاة في شعر الشماخ، والطرماح، وغيرهما من سلوك التقادير البعيدة، والتراكيب القلقة والمجازات المعقدة.

ثم أختتم الكلام في جملة من الآيات التي فسرتها إفراداً وتركيباً بما ذكروا فيها من علم البيان والبديع ملخصاً. ثم أتبع آخر الآيات بكلام منثور أشرح مضمون تلك الآيات، على ما أختاره من تلك المعاني، ملخصاً جملها في أحسن تلخيص، وقد ينجر معها ذكر معاني لم تتقدم في التفسير. وصار ذلك أنموذجاً لمن يريد أن يسلك ذلك فيما بقي من سائر القرآن وستقف على هذا المنهج الذي سلكته إن شاء الله تعالى» [(٢)].

---

(١) هكذا في المخطوط ١/ ٣/ ب، وفي المطبوع: له ذلك.

(٢) البحر المحيط: ١/ ٤-٥.

Twitter: @almosahm

طبعاته ومخطوطاته:

طبع تفسير البحر المحيط في ثمانية مجلدات كبيرة في مصر سنة ١٣٢٨هـ بمطبعة السعادة طبعة غير محققة، على نفقة سلطان المغرب الأقصى عبدالحفيظ بن الحسن بن محمد، وطبع بهامشه تفسيران:

١- تفسير النهر الماد من البحر المحيط، لأبي حيان نفسه.

٢- كتاب الدر اللقيط من البحر المحيط، لتلميذه أحمد بن عبدالقادر بن مكتوم، ثم صورت هذه الطبعة عدة مرات.

وللبحر المحيط نسخ مخطوطة منها:

١) نسخة في المكتبة المحمودية بمكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة، كتبت سنة ٧٤٩هـ ورقمها من ٩٠- ٩٧.

٢) نسخة في مكتبة لايدن، لا يعرف متى كتبت برقم ٣٤٤، ذكرها بلانثيا في كتابه تاريخ الفكر الأندلسي.

٣) نسخة في دار الكتب المصرية تحت رقم ٥٤٣ تفسير، يوجد منها الجزء الأول فقط.

تأثيره فيمن بعده:

لتفسير البحر المحيط شهرة واسعة، وأثر واضح بعده، حيث أقبل عليه الناس وبخاصة العلماء وطلابهم على قراءته، والإفادة

Twitter: @almosahm

منه، وكثر ثناؤهم عليه واعتمدوه في مصنفاتهم، وكتبت له تلخيصات وردود ومناقشات، وممن أكثر الاعتماد عليه:

١. عبدالرحمن بن محمد الثعالبي المالكي في تفسيره: الجواهر الحسان في تفسير القرآن.

٢. إبراهيم بن محمد السفاقسي أحد تلاميذ أبي حيان في كتابه: المجيد في إعراب القرآن المجيد.

٣. أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي أحد تلاميذ أبي حيان في كتابه: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون.

٤. أحمد بن عبدالقادر بن مكتوم أحد تلاميذ أبي حيان في كتابه: الدر اللقيط من البحر المحيط الذي اقتصر فيه مؤلفه على مباحث أبي حيان مع الزمخشري وابن عطية واعتراضاته عليهما.

Twitter: @almosahm

الفصل الثاني:

تأثر أبي حيان بالفخر الرازي

إن الحديث عن تأثير الفخر الرازي فيمن جاء بعده من المفسرين وغيرهم طويل لا يمكن حصره ولا الوفاء التام ببيانه، إذ إن أغلب المفسرين الذين أتوا من بعده اعتمدوا تفسيره مصدراً مهماً عندهم، لاحتوائه علوماً مختلفة ومسائل متنوعة واستنباطات دقيقة وتحليلات رائعة، ولكل من هؤلاء طريقة في الأخذ عنه ومنهج واضح في التأثر به والتعامل معه، ومن أولئك أبو حيان في تفسيره البحر المحيط، الذي أكثر النقل عنه وظهر تأثره به في أمور كثيرة، مع ظهور شخصيته في ذلك كله، واعتماده منهجاً في التأثر به وطريقة في التعامل معه، يتضح ذلك من خلال المباحث الآتية:

المبحث الأول:

تأثره به في المناسبات

اهتم الرازي بذكر المناسبات بين الآيات، اعتماداً على تناسق

Twitter: @almosahm

الآيات وتسلسل معانيها، وأن ترتيبها على ما هي عليه الآن فيه حكم ولطائف دقيقة، وكان ينكر على من لا يرى المناسبات بين الآيات ويضعف قول من يرى أن الآية قد تكون منقطعة عما قبلها ويرد بشدة على من لم يهتم بنظم الآيات، وقد يرد آراء المفسرين التي تخالف ظاهر الترتيب بين الآيات ويعتبرها في غاية البعد، كقوله: «وهذا القول عندي في غاية البعد؛ لأنه يوجب فساد الترتيب في هذه الآيات»[(١)].

وكان في بعض المواضع يتفنن في استنباط أوجه المناسبات بين الآيات وذكر الروابط الموجودة بينها حتى يصل إلى أكثر من وجه يدل على براعته ودقة استنباطه، وحديثه عن المناسبات بين الآيات أكثر من حديثه عن المناسبات بين السور.

وقد أفاد أبو حيان من الفخر الرازي في ذكر المناسبات بين الآيات والسور، فأكثر النقل عنه، واعتمد عليه، وبيان ذلك فيما يلي:

أولاً: أنه ينقل عنه المناسبة بين الآيات مع شيء يسير من الاختصار، دون أن يشير إلى أنه أخذها من التفسير الكبير، وهذا كثير شائع في تفسيره، كقوله في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن

(١) ينظر: التفسير الكبير: ٩/ ٢٣٠.

Twitter: @almosahm

﴿فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ﴾ [(١)]. ومناسبتها لما قبلها أنه تعالى لما بالغ في التحريض على بذل الأرواح في الجهاد في الآيات السابقة شرع في التحريض هنا على بذل الأموال في الجهاد وغيره، وبين الوعيد الشديد لمن يبخل» [(٢)]، وقد ذكر الرازي مناسبة الآية بقول: «اعلم أنه تعالى لما بالغ في التحريض على بذل النفس في الجهاد في الآيات المتقدمة شرع ههنا في التحريض على بذل المال في الجهاد، وبين الوعيد الشديد لمن يبخل ببذل المال في سبيل الله» [(٣)].

ثانياً: قد ينقل المناسبات بين السور وهذا قليل في تفسيره، وذكرها أيضاً قليل في التفسير الكبير، وينقلها بشيء من الاختصار كما سبق، كالمناسبة بين أول سورة النساء وآخر سورة آل عمران، والمناسبة بين أول سورة العنكبوت وآخر سورة القصص [(٤)].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨٠.

(٢) ينظر البحر المحيط: ٣/ ١٢٧.

(٣) ينظر: التفسير الكبير ٩/ ١١٦، وينظر ٣/ ١٥٩-٩/ ١٧٣، ١٢٧/ ١١٦، ١٣٣/ ١٢٨، ٤/ ١٠٨-١٢/ ٢١٠، ٥/ ٤٤-١٦/ ٧٢، ٥٣/ ٩٤، ٨٣/ ١٦٢، ٦/ ٥٧ - ٢١/ ٣، ٨٣/ ٦٣، ١٣٣/ ١٣١، ١٣٥/ ١٣٧.

(٤) ينظر البحر المحيط ٣/ ١٥٢، التفسير الكبير ٩/ ١٦٣، ٧/ ١٣٧، ٢٥/ ٢٥.

Twitter: @almosahm

المبحث الثاني:

تأثره به في نقل أقوال المفسرين

ضم التفسير الكبير بين دفتيه أقوالاً كثيرة معزوةً إلى أصحابها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من العلماء والمفسرين واللغويين والفقهاء وغيرهم في تفسير الآيات وتوجيهها، وقد يوردها الفخر الرازي غير معزوة إلى أصحابها، مع عنايته بترتيبها وتنظيمها واختيار ما يراه الراجح منها في أكثر طرحه لها، فهو يعد مرجعاً في الإفادة منه، لما اجتهد في جمعها واعتنى بذكرها، وممن اعتمد عليه في ذلك أبو حيان في تفسيره حيث كانت له عناية بالغة في ذكر أقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم في تفسيره مع حرصه على عزوها إلى أصحابها، يأخذها من كتبهم مباشرة بلا واسطة، فإن أعياه الأمر أخذها ممن ذكرها قبله، ومن أولئك الفخر الرازي، مع إفادته منه في طريقة عرضها واختيار ما يراه الراجح منها، ومناقشته في بعضها، وقد سلك أبو حيان في تعامله مع هذه الأقوال والتوجيهات التي نقلها من التفسير الكبير طرقاً كثيرة هي:

الأولى: أن أبا حيان قد يذكر أقوالاً في تفسير الآية، ويصرح

Twitter: @almosahm

بأنه نقلها من التفسير الكبير، بقوله: «قال أبو عبدالله الرازي»، قال أبو حيان في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾ [(١)]، قال أبو عبدالله الرازي: فيه قولان، أحدهما: أنهما الأمران المحسوسان، وهذا هو الحقيقة، والثاني ما نقل عن ابن عباس والحسن من قبل وهو مجاز» [(٢)].

الثانية: في مقابل ما سبق فإن أبا حيان في أكثر نقله أقوال المفسرين من التفسير الكبير لا يعزوها إليه ولا يشير إلى أنه نقلها منه، وقد يتصرف في ذلك النقل مع الاختصار اليسير، مثل قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [(٣)]، وللمفسرين في تفسيره وجوه، الأول: أن كل من صدق بكل الذي لا يتخالجه فيه شك فهو صديق، لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١.

(٢) ينظر: البحر المحيط، ٤/ ٦٨، التفسير الكبير ١٢/ ١٥٩، وانظر: ١٠٥/ ٢٠٦، ٥/ ١٥٣-١٧-٩٠، ١٥٨-١٥٩/ ١٠٢-١٠٣.

(٣) سورة النساء، الآية: ٦٩.

Twitter: @almosahm

﴿ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ﴾ [(١)]، والثاني: أفاضل أصحاب الرسول - عليه الصلاة والسلام، الثالث: السابق إلى تصديق الرسول - عليه الصلاة والسلام - فصار في ذلك قدوة لسائر الناس» [(٢)].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [(٣)]: أي، من كان في هذه الدار أعمى عن النظر في آيات الله وعبره، والإيمان بأنبيائه فهو في الآخرة أعمى، وقال مجاهد: هو أعمى في الآخرة عن حججه، وقال ابن عباس أيضاً: ومن كان في هذه النعم يشير إلى نعم التكريم والتفضيل، فهو في الآخرة التي لم تُر ولم تُعاين أعمى، وقيل: ومن كان في الدنيا ضالاً كافراً فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً، وقيل: فهو في الآخرة أعمى عن طريق الجنة» [(٤)].

وهذه الأقوال التي ذكرها أبو حيان في تفسير الآيتين منقولة من التفسير الكبير بهذا الترتيب مع تصرف يسير منه [(٥)] [(٦)].

---

(١) سورة الحديد، الآية: ١٩.

(٢) البحر المحيط: ٢/ ٢٨٧.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٧٢.

(٤) البحر المحيط: ٦/ ٦٣.

(٥) ينظر التفسير الكبير ١٠/ ١٧٧-٢١/ ٢٠.

(٦) وانظر أمثلة: ٣/ ١٢٧ - ٩/ ١١٥ - ٤/ ٩٧، - ١٢/ ١٩٧، ١٠٣/ ٢٠٤، ١٠٨/ ٢١٠، ١١١/ ٢١٤، ٥/ ٣٧-١٦/ ٥٠، ٦٤/ ١٢٢.

Twitter: @almosahm

الثالثة: لأبي حيان شخصية واضحة فيما ينقله عن الرازي وغيره من الأقوال في تفسير الآية، فهو يختار ويرجح، ويناقش ويرد، ويحكم على تلك الأقوال من حيث القوة والضعف، والأمثلة على هذا كثيرة.

مما حكم عليه دون مناقشة قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [(١)]. وقال الرازي: «لمغفرة من الله إشارة إلى تعبده خوفاً من عقابه» ورحمة «إشارة إلى تعبده لطلب ثوابه، انتهى [(٢)]، وليس بالظاهر [(٣)]، ومما ناقشه فيه وَردَّه عليه قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [(٤)] ولفظة (فأعقبهم نفاقاً) لا تدل ولا تشعر بأنه كان مسلماً ثم لما بخل بالمال ولم يوف بالعهد صار منافقاً كما قال أبو عبدالله الرازي [(٥)]، لأن المعقب نفاق متصل إلى وقت الموافاة، فهو نفاق مقيد بغاية ولا يدل المقيد على انتفاء المطلق قبله [(٦)].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٧.

(٢) التفسير الكبير ٩/ ٦١.

(٣) البحر المحيط ٣/ ٩٦.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٧٧.

(٥) التفسير الكبير ١٦/ ١٤٥.

(٦) البحر المحيط ٥/ ٧٤-٧٥، وانظر: ٥/ ١١٢-١٦/ ٣٢٠، ٦/ ٧٠ - ٢١/ ٢٨، ١٢١/ ١٢٢.

Twitter: @almosahm

الرابعة: اجتهد أبو حيان في كتابة تفسيره من وجوه عدة، منها حسن اختيار الأقوال والأوجه في تفسير الآية والإفادة منها، مع عنايته بعدم التكرار؛ لأنه تطويل لا فائدة منه أو تفصيلات لا يستحسن ذكرها، وإنما يسلك الإحالة على ما سبق أو الإشارة إلى أن بعض المفسرين ذكرها، وقد صنع مثل هذا مع الرازي الذي ينقل أقوالاً وتوجيهات عمن سبقه وقف عليها أبو حيان في كتبهم لكنه يشير إلى أن الرازي اختصرها وتصرف فيها، دون حاجة إلى نقلها مرة أخرى بتصرف الرازي فيها.

يقول أبو حيان في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ ﴾[(١)]، وذكر أبو عبدالله الرازي الأوجه الثلاثة التي ذكرها الزمخشري ببسط فيها[(٢)(٣)].

وقال أيضاً في تفسير قوله تعالى: ﴿ انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[(٤)]: «وأما قول من يقول فهو إشارة إلى أبي علي الجبائي والقاضي عبدالجبار ومن وافقهما أن أهل القيامة لا يجوز إقدامهم على الكذب، واستدلوا بأشياء تؤول إلى

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٨.

(٢) التفسير الكبير: ١٢/ ١٧١.

(٣) البحر المحيط: ٤/ ٧٨.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٢٤.

Twitter: @almosahm

مسألة القبح والحسن وبناء ما قالوه عليها، ذكرها أبو عبدالله الرازي في تفسيره [١]، فتطالع هناك» [٢].

الخامسة: قد يعتمد أبو حيان على الرازي في ترجيح قول أو توجيه رأي، مستفيداً مما يذكره من العلل والتوجيهات التي تقوي اختياره، فقد اختار ما رجحه الرازي في تعلق قوله تعالى: ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [٣]، بما قبلها، وهو ما ذكره ابن عباس أن الذين كانوا يأمرون هم الذين طلبوا الاستغفار، ولا يجوز أن يكون الرسول ﷺ اشتغل بالاستغفار فنهاه عنه، ثم نقل عنه في ترجيح هذا القول خمسة أدلة مع توجيهها، باختصار يسير [٤] [٥].

---

(١) التفسير الكبير ١٢/ ١٩٥.

(٢) البحر المحيط ٤/ ٩٦.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٨٠.

(٤) التفسير الكبير ١٦/ ١٤٩ – ١٥١، البحر المحيط: ٥/ ٧٧-٧٨.

(٥) وانظر أيضاً: ٥/ ٩٢- ١٦/ ١٧٢، ٦/ ٧٢-٢١/ ٣٠.

Twitter: @almosahm

المبحث الثالث:

تأثره به في تفسير الآيات وأسلوبه في ذلك

من أجل ما كتبه الرازي تفسيره المسمى بـ«التفسير الكبير» الذي اعتنى فيه بتفسير كلام الله عز وجل معتمداً في ذلك على تفسيره بالقرآن أو بالسنة أو بأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم، مع ظهور شخصيته في الاختيار والترجيح، وحسن الترتيب وعرض المسائل ودقة الاستنباط والاستدلال، مع عنايته بأمور أخرى سيأتي الحديث عنها مثل القراءات واللغة وعلوم الفلك والطبيعة والفقه وأصوله وغير ذلك.

وقد تأثر بتفسيره وطريقته في عرضه وأسلوبه والإفادة من استنباطاته ودقائق لطائفه أبو حيان في تفسيره البحر المحيط، وقد سلك في ذلك طرقاً كثيرة، هي:

أولاً: أنه ينقل عنه ما ذكره في تفسير الآية، مع التصريح بأنه نقله منه، فيقول مثلاً: «قال أبو عبدالله الرازي ..»، ثم يشير في آخر كلامه أنه انتهى ملخصاً، أو يذكر أنه لخصه في أوله، دقة وأمانة في النقل عنه، ويكتفي بهذا فلا يعلق ولا يناقش، مما يدل على أنه قد ارتضاه، وأمثلة

Twitter: @almosahm

هذا كثيرة منها قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ [(١)]: وقال أبو عبدالله الرازي: صفات الكمال محصورة في العلم والقدرة، فقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ ﴾ إشارة إلى كمال القدرة، ﴿ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ إشارة إلى كمال العلم [(٢)]. انتهى، وفيه بعض اختصار وتلخيص [(٣)]. وكقوله في تفسير قوله تعالى: ﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ ﴾ [(٤)]، وقال أبو عبدالله الرازي: جعل نفس البنيان ريبة لكونه سبباً لها، وكونه سبباً لها أنه لما أمر بتخريب ما فرحوا ببنائه ثقل ذلك عليهم وازداد بغضهم له وارتيابهم في نبوته، أو اعتقدوا هدمه من أجل الحسد، فارتفع إيمانهم وخافوا الإيقاع بهم قتلاً ونهباً، أو بقوا شاكين أيغفر الله لهم تلك المعصية [(٥)]، انتهى وفيه تخليص [(٦)]، وكقوله

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٨.

(٢) التفسير الكبير ١٢/ ١٨٣.

(٣) البحر المحيط: ٤/ ٨٩.

(٤) سورة التوبة، الآية: ١١٠.

(٥) التفسير الكبير ١٦/ ٢٠٢.

(٦) البحر المحيط: ٥/ ١٠١.

Twitter: @almosahm

في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [(١)]، وقال أبو عبدالله الرازي ما ملخَّصه: فائدة ضم استغفار الرسول إلى استغفارهم أنهم بتحاكمهم إلى الطاغوت خالفوا حكم الله وأساؤوا إلى الرسول ﷺ فوجب عليهم أن يعتذروا ويطلبوا من الرسول الاستغفار [(٢)] [(٣)].

ثانياً: قد ينقل أبو حيان كلام الرازي في تفسير الآية مع عزوه إليه، لكن قد يتصرف في كلام الرازي بالاختصار والتلخيص ولا يشير إلى ذلك، وهذا قليل جداً، ومن أمثلته قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ﴾ [(٤)]، وقال أبو عبدالله الرازي: لا يجوز أن تكون الشهادة مفسرة بكون الإنسان مقتول الكافر، بل نقول الشهيد

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٤.

(٢) التفسير الكبير ١٠/ ١٦٧.

(٣) البحر المحيط ٣/ ٢٨٣، وانظر: ٤/ ٩٢ – ١٢/ ١٨٩.

(٤) سورة النساء، الآية: ٦٩.

Twitter: @almosahm

فعيل بمعنى فاعل، وهو الذي يشهد لدين الله تارة بالحجة والبيان وتارة بالسيف والسنان، فالشهداء هم القائمون بالقسط [١] [٢]، وكقوله في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾ [٣]، وقال أبو عبدالله الرازي: فيه قولان، أحدهما: أنهما الأمران المحسوسان وهذا هو الحقيقة، والثاني: ما نقل عن ابن عباس والحسن من قبل وهو مجاز [٤][٥]. وبالرجوع إلى هذين الموضعين في التفسير الكبير نجد أن أبا حيان تصرف في النقل عنه بشيء من الاختصار ولم يشر إلى ذلك [٦].

وفي مقابل هذا فقد ينقل عنه أبو حيان دون العزو إليه، كقوله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [٧]. لما كان

---

(١) التفسير الكبير ١٠/ ١٦٧.

(٢) البحر المحيط ٣/ ٢٨٣.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١.

(٤) التفسير الكبير ١٢/ ١٩٥.

(٥) البحر المحيط ٤/ ٦٨.

(٦) ينظر: ٣/ ٢٨٥ – ١٠/ ١٧٣، ٢٩٣/ ١٨٥.

(٧) سورة الأنعام، الآية: ٩٨.

Twitter: @almosahm

الاهتداء بالنجوم واضحاً ختمه بقوله (يعلمون)، أي: من له أدنى إدراك ينتفع بالنظر في النجوم وفائدتها، ولما كان الإنشاء من نفس واحدة، والتصريف في أحوال كثيرة يحتاج إلى فكر وتدقيق نظر ختمه بقوله (يفقهون) إذ الفقه هو استعمال فطنة ودقة نظر وفكر، فناسب ختم كل جملة بما يناسب ما صدَّر به الكلام [(١)]، فهذا النص منقول من التفسير الكبير [(٢)] بتصرف ولم يعزه إليه، وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [(٣)] و(رضوا) استئناف، كأنه قيل: ما بالهم استأذنوا في القعود بالمدينة وهم قادرون على الجهاد؟ فقيل: رضوا بالدناءة وانتظامهم في سلك الخوالف، وعطف (وطبع) تنبيهاً على أن السبب في تخلفهم رضاهم بالدناءة، وطبع على قلوبهم فهم لا يعلمون ما يترتب على الجهاد من منافع الدين والدنيا [(٤)]. وهذا الكلام أفاده أبو حيان من التفسير الكبير، لكن بتصرف منه [(٥)].

ثالثاً: اعتنى أبو حيان بنقل الفوائد والاستنباطات والتقسيمات

---

(١) البحر المحيط: ٤/ ١٨٨.

(٢) التفسير الكبير ١٣/ ١١٠.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٩٣.

(٤) البحر المحيط: ٥/ ٨٨.

(٥) التفسير الكبير ١٦/ ١٦٦، وانظر: ٤/ ٧٧ – ١٢/ ١٦٨، ٩٢/ ١٨٩.

Twitter: @almosahm

التي اجتهد في إبرازها الرازي في تفسيره، حيث كان يعتني بالتقسيم والاستنباط وذكر المسائل والحجج واللطائف والفروع والوجوه والفوائد، في ترابط عجيب وترتيب متناسق، وقد سبق ذكر قوله في أول تفسير سورة الفاتحة: «اعلم أنه مر على لساني في بعض الأوقات أن هذه السورة الكريمة يمكن أن يستنبط من فوائدها ونفائسها عشرة آلاف مسألة».

وكان يعزو ما أفاده منه إليه في مواضع قليلة، ويترك الباقي دون عزو مع التصرف اليسير فيه بالاختصار والتلخيص، وأمثلة هذا كثيرة، من ذلك قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾ ﴾[1]: «وهذه رتب ثلاث صدرت من هؤلاء الكفار: الإعراض عن تأمل الدلائل، ثم أعقب الإعراض التكذيب، وهو أزيد من الإعراض، إذ المعرض قد لا يكون غافلاً عن الشيء، ثم أعقب التكذيب الاستهزاء، وهو أزيد من التكذيب، إذ المكذب قد لا يبلغ إلى حد الاستهزاء، وهذه هي المبالغة في الإنكار»[2]، وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن

(١) سورة الأنعام، الآيتان: ٥، ٤.

(٢) البحر المحيط: ٤/ ٧٥، وانظر: التفسير الكبير ١٢/ ١٦٦-١٦٧.

Twitter: @almosahm

فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [١]: «وأتى أولاً بمقام الرضا وهو فعل قلبي ... ثم ثنّى بإظهار آثار الوصف القلبي وهو الإقرار باللسان فحسبنا ما رضي به، ثم أتى ثالثاً بأنه تعالى ما داموا في الحياة الدنيا مادّ لهم بنعمه وإحسانه، وهو إخبار حسن، إذ ما من مؤمن إلا ونعم الله مترادفة عليه، ثم أتى رابعاً بالجملة المقتضية الالتجاء إلى الله لا إلى غيره والرغبة إليه» [٢].

فما ذكره أبو حيان آنفاً هو بنصه في التفسير الكبير مع شيء من الاختصار ولم يشر إلى ذلك، ومما عزاه إلى الرازي، قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [٣]، وقال أبو عبدالله الرازي (بعضهم من بعض) يدل على أن نفاق الاتباع وكفرهم حصل بسبب التقليد لأولئك الأكابر وبسبب مقتضى الطبيعة والعادة، أما الموافقة الحاصلة بين المؤمنين فإنما حصلت لا بسبب الميل والعادة بل بسبب المشاركة في الاستدلال والتوفيق والهداية [٤] [٥].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٥٩.

(٢) البحر المحيط: ٥/ ٥٦، وانظر: التفسير الكبير ١٦/ ١٠١ - ١٠٢.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٧١.

(٤) التفسير الكبير ١٦/ ١٣٤.

(٥) البحر المحيط ٥/ ٧٠، وانظر: ٣/ ١٥٤ - ٩/ ١٦٤، ١٥٦/ ١٧١، ٤/ ٧٤ - ١٢/ ١٦٦.

Twitter: @almosahm

رابعاً: يعتني أبو حيان بما يذكره الرازي من أسئلة ترد في تفسير الآية مع الإجابة عليها، فهو ينقلها مع شيء من الاختصار، دون عزو في الغالب إلى الرازي، من ذلك قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١).

«وأورد بعضهم هنا سؤالاً فقال: فإن قيل: كيف يتمنون الرد مع علمهم بتعذر حصوله؟ وأجاب بقوله: قلنا: لعلهم لم يعلموا أن الرد لا يحصل والثاني: أن العلم بعدم الرد لا يمنع من الإرادة، كقوله: (يريدون أن يخرجوا من النار) و(أن أفيضوا علينا من الماء) انتهى»(٢).

فهذا النص في التفسير الكبير مع تصرف يسير.

ويتبع هذا ما ينقله عنه في توجيه معنى آية أو إجابة عن إشكال قد يرد في تفسيرها أو دفع يوهم التعارض أو التناقض في معناها، يقول أبو حيان في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ (٣): «قال أبو عبدالله الرازي: كيف أمرهم بالكفر والسحر، والأمر بالكفر كفر؟ قلنا: إنه – عليه الصلاة والسلام – أمرهم بإلقاء الحبال والعصي ليظهر للخلق

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٢٧.

(٢) البحر المحيط ٤/ ١٠٣، وانظر: التفسير الكبير ١٢/ ٢٠٣، وانظر: ١٠٣/ ٢٠٤.

(٣) سورة يونس، الآية: ٨٠.

Twitter: @almosahm

أن ما ألقوا عمل فاسد وسعي باطل، لا على طريق أنه – عليه السلام – أمرهم بالسحر [(١)] ، انتهى» [(٢)] ، وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ ﴾ [(٣)]. نقل أبو حيان أقوالاً لبعض المفسرين في الجمع بين مقاربة استفزازه لإخراجه في هذه الآية وإخراجه في قوله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ ﴾ [(٤)] وارتضى قول الرازي حيث قال: «وقال أبو عبدالله الرازي: ما خرج بسبب إخراجهم وإنما خرج بأمر الله، فزال التناقض [(٥)] ، انتهى» [(٦)].

خامساً: استفاد أبو حيان من عناية الرازي بالتفسير الموضوعي في بعض المواضع من تفسيره، حيث يتتبع مدلولات كلمة في القرآن ويعقد رابطة بينها، أو يتجه للحديث عن موضوع معين وكيف عالجه القرآن الكريم وتحدث عنه، وكان أبو حيان يتصرف يسيراً باختصار كلام

---

(١) التفسير الكبير ١٧/ ١٤٩.

(٢) البحر المحيط: ٥/ ١٨٢.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٧٦.

(٤) سورة محمد، الآية: ١٣.

(٥) التفسير الكبير ٢١/ ٢٤.

(٦) البحر المحيط: ٦/ ٦٦، وانظر: ٥/ ١٦٩ – ١٧/ ١١٧ ، ١٧٠/ ١٨٨، ١٧٤/ ١٣٠.

Twitter: @almosahm

الرازي وتلخيصه، يعزو ما نقله إليه حيناً ويتركه حيناً آخر، من ذلك في أنه في تفسير قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ﴾[١]. ذكر أن من صفات الله سبحانه الهداية إلى الحق ثم قال: «وقد أعقب الخلق بالهداية في القرآن في مواضع، قال تعالى حكاية عن الكليم: ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾[٢]، وقال: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ ﴾[٣]. فاستدل بالخلق والهداية على وجود الصانع»[٤]، وما ذكره أبو حيان هنا منقول من التفسير الكبير[٥]، بتصرف يسير، ومما صرح فيه بالنقل عنه قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾[٦]: «وقال أبو عبدالله الرازي: مراتب التحدي بالقرآن ست، تحد بكل القرآن في ﴿ قُل لَّئِنِ

---

(١) سورة يونس، الآية: ٣٥.

(٢) سورة طه، الآية: ٥٠.

(٣) سورة الأعلى، الآيتان: ٢، ٣.

(٤) البحر المحيط: ٥/ ١٥٥.

(٥) التفسير الكبير ١٧/ ٩٤.

(٦) سورة يونس، الآية: ٣٨.

Twitter: @almosahm

﴿ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [1]

وتحد بعشر سور، وتحد بسورة واحدة، وتحد بحديث مثله في قوله: ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [2] [3].

سادساً: لم يكن أبو حيان مجرد ناقل من التفسير الكبير، يقبل كل ما يذكره الرازي في تفسير الآيات ويرتضيه، بل كانت له شخصيته الواضحة في تفسيره بعامه وفيما ينقله عن غيره على وجه الخصوص ومن أولئك الرازي، يناقشه ويقف معه على توجيهاته وتعليلاته، بالقبول والتأييد حيناً وبالرد والاعتراض حيناً آخر، وقد لا يرتضي أسلوبه في عرض المسألة أو تفسير الآية، والأمثلة على ذلك كثيرة، قال – رحمه الله تعالى – في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ ﴾ [4]: «وقال أبو عبدالله الرازي: المراد أنهم لو فعلوا ما كلّفوا به

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٨.

(٢) سورة الطور، الآية: ٣٤.

(٣) البحر المحيط ٥/ ١٥٨، وانظر: التفسير الكبير ١٧/ ١٠٢.

(٤) سورة النساء، الآية: ٦٦.

Twitter: @almosahm

وأمروا، وسمى هذا التكليف والأمر وعظاً؛ لأن تكاليف الله مقرونة بالوعد والوعيد والترغيب والترهيب والثواب والعقاب، وما كان كذلك فإنه يسمى وعظاً [(١)]، وهذه كلها تفاسير تخالف الظاهر...» [(٢)]، ومما رد عليه أسلوبه في تفسيره وخطأه في تعبيره، قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [(٣)].

وقال أبو عبدالله الرازي: والآية دالة على أنه لا رسول إلا ومعه شريعة ليكون مطاعاً في تلك الشريعة ومتبوعاً فيها، إذ لو كان لا يدعو إلا إلى شرع من قبله لم يكن هو في الحقيقة مطاعاً، بل المطاع هو الرسول المتقدم الذي هو الواضع لتلك الشريعة، والله تعالى حكم على كل رسول بأنه مطاع [(٤)]. انتهى، ولا يعجبني قوله: «الواضع لتلك الشريعة» والأحسن أن يقال: «الذي جاء بتلك الشريعة من عند الله» [(٥)].

---

(١) التفسير الكبير ١٠/ ١٧٣.

(٢) البحر المحيط: ٣/ ٢٨٥.

(٣) سورة النساء، الآية: ٦٤.

(٤) التفسير الكبير ١٠/ ١٦٦.

(٥) البحر المحيط: ٣/ ٢٨٣.

Twitter: @almosahm

وقد يكتفي أحياناً باستغراب ما يذكره الرازي وعدم وضوحه بحيث لا يعرف مراده، حيث نقل عنه دون عزو إليه قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [(١)]: وقال غيره أي الزجاج (بل) رد لما تمنوه، أي: ليس الأمر على ما قالوه؛ لأنهم لم يقولوا ذلك رغبة في الإيمان، بل قالوه إشفاقاً من العذاب وطمعاً في الرحمة [(٢)]، انتهى، ولا أدري ما هذا الكلام ...» [(٣)]، وفي مواضع أخرى يذكر أبو حيان من كلام المفسرين ما يرد به على الرازي الذي لم يرض تفسيره في هذا الموضع، ففي تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾﴾ [(٤)].

قال – رحمه الله تعالى: «وقال أبو عبدالله الرازي ما ملخصه: وعندي فيه وجه آخر، وهو أن الإنسان مخلوق من المني ومن دم الطمث المتولدين من الأغذية والأغذيةُ حيوانية، والقول في كيفية تولدها كالقول في الإنسان، أو نباتية فثبت تولد الإنسان من

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٢٨.

(٢) التفسير الكبير ١٢/ ٢٠٣.

(٣) البحر المحيط: ٤/ ١٠٣.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٢.

Twitter: @almosahm

النباتية، وهي متولدة من الطين، فكل إنسان متولد من الطين، وهذا الوجه أقرب إلى الصواب [١] ، انتهى.

وهذا الذي ذكر أنه عنده وجه آخر وهو أقرب للصواب هو بسط ما حكاه المفسرون عن فرقة، وقال فيه ابن عطية: هو مردود عند الأصوليين [٢] ، يعني: القول بالتوالد والاستحالات، والذي هو مشهور عند المفسرين أن المخلوق من الطين هنا هو آدم» [٣] .

❑❑❑

(١) التفسير الكبير ١٢/ ١٦١.

(٢) المحرر الوجيز ٦/ ٤.

(٣) البحر المحيط ٤/ ٧٠.

Twitter: @almosahm

المبحث الرابع:

تأثره به في علم الطبيعة والهيئة والفلك

اهتم الرازي في تفسيره بالمسائل العلمية والأمور الكونية، وتوسع في الحديث عن علم الهيئة والفلك والنجوم وفصل القول في طبائع المخلوقات وأسرار تكوينها، انطلاقاً من قاعدة هامة اعتمدها في تفسيره وهي حث القرآن على التأمل والتفكر في آيات الله ومخلوقاته والاستدلال بها على عظمته ووحدانيته، لكنه توسع في ذلك، وكان ينكر على من أنكر عليه هذا التوسع، يقول – رحمه الله تعالى: «ربما جاء بعض الجهال والحمقى وقال إنك أكثرت في تفسير كتاب الله من علم الهيئة والنجوم وذلك على خلاف المعتاد، فيقال لهذا المسكين إنك لو تأملت في كتاب الله حق التأمل لعرفت فساد ما ذكرته، وتقريره من وجوه:

الأول: أن الله تعالى ملأ كتابه من الاستدلال على العلم والقدرة والحكمة بأحوال السموات والأرض وتعاقب الليل والنهار وكيفية أحوال الضياء والظلام وأحوال الشمس والقمر والنجوم، وذكر هذه الأمور في أكثر السور وكررها وأعادها مرة بعد أخرى، فلو لم يكن البحث عنها

Twitter: @almosahm

والتأمل في أحوالها جائزاً لما ملأ الله كتابه منها.

والثاني: أنه تعالى قال: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ ﴾[1]، فهو تعالى حث على التأمل في أنه كيف بناها، ولا معنى لعلم الهيئة إلا التأمل في أنه كيف بناها...

والثالث: أنه تعالى قال: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾[2].

فبين أن عجائب الخلقة وبدائع الفطرة في أجرام السموات أكثر وأعظم وأكمل مما في أبدان الناس، ثم إنه تعالى رغب في التأمل في أبدان الناس بقوله: ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[3].

والرابع: أنه تعالى مدح المتفكرين في خلق السموات والأرض فقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾[4]، ولو كان ذلك ممنوعاً منه لما فعل.

---

(١) سورة ق، الآية: ٦.

(٢) سورة غافر، الآية: ٥٧.

(٣) سورة الذاريات، الآية: ٢١.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٩١.

Twitter: @almosahm

فلكثرة الدلائل وتواليها أثر عظيم في تقوية اليقين وإزالة الشبهات، فإذا كان الأمر كذلك ظهر أنه تعالى إنما أنزل هذا الكتاب لهذه الفوائد والأسرار لا لتكثير النحو الغريب والاشتقاقات الخالية عن الفوائد والحكايات الفاسدة [١].

وقد أفاد أبو حيان مما ذكره الرازي في هذا الباب، مع التصرف في كلامه بالاختصار والتلخيص، مع اعترافه بأنه ليس من علماء هذا الفن ولم يسبق له النظر فيه، قال - رحمه الله تعالى: بعد أن نقل شيئاً من كلام الرازي في هذا الموضوع: «وتكلم في قوله: ﴿مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾: كلاماً كثيراً هو من علم الهيئة [٢]، وهو علم لم ننظر فيه، قال أربابه: وهو علم شريف يطلع فيه على جزئيات غريبة من صنعة الله تعالى، يزداد بها إيمان المؤمن، إذ المعرفة بجزئيات الأشياء وتفاصيلها ليست كالمعرفة بجمليتها» [٣].

فآخر كلام أبي حيان يدل على أهمية معرفة هذه العلوم وبيان ثمار العلم بها.

ومما نقله من التفسير الكبير قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿يُغْشِى

---

(١) التفسير الكبير ١٤/ ١٢٦-١٢٧.

(٢) التفسير الكبير ١٤/ ١٢٤-١٢٨.

(٣) البحر المحيط ٤/ ٣١٠.

Twitter: @almosahm

﴿ ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا ﴾ [1]، «وقال أبو عبدالله الرازي: وصف هذه الحركة بالسرعة والشدة؛ لأن تعاقب الليل والنهار يحصل بحركة الفلك الأعظم، وتلك الحركة أشد الحركات سرعة وأكملها شدة، حتى إن الباحثين عن أحوال الموجودات قالوا: الإنسان إذا كان في العدو الشديد الكامل قبل أن يرفع رجله ويضعها يتحرك الفلك الأعظم ثلاثة آلاف ميل: ولهذا قال: (يطلبه حثيثاً) ونظيره: ﴿ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [2]، شبه ذلك المسير وتلك الحركة بالسباحة في الماء، والمقصود التنبيه على السرعة والسهولة وكمال الاتصال، انتهى [3]. وفيه بعض تلخيص» [4].

وقد ينقل منه أبو حيان دون عزو كقوله في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيۡءٖ فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ خَضِرٗا نُّخۡرِجُ مِنۡهُ حَبّٗا مُّتَرَاكِبٗا وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ وَجَنَّٰتٖ مِّنۡ أَعۡنَابٖ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشۡتَبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۗ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [5]،

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.

(٢) سورة يس، الآية: ٤٠.

(٣) التفسير الكبير ١٤/ ١٢٣.

(٤) البحر المحيط: ٤/ ٣٠٦.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ٩٩.

Twitter: @almosahm

وقدم الزرع على الشجر؛ لأنه غذاء، والثمر فاكهة، والغذاء مقدم على الفاكهة، وقدم النخل على سائر الفواكه؛ لأنه يجري مجرى الغذاء بالنسبة إلى العرب، وقدم العنب؛ لأنه أشرف الفواكه، وهو في جميع أطواره منتفع به، خيوط ثم حصرم ثم عنب ثم إن عصر كان منه خل ودبس، وإن جفف كان منه زبيب، وقدم الزيتون؛ لأنه كثير المنفعة في الأكل وفيما يعصر منه من الدهن العظيم النفع في الأكل والاستصباح وغيرهما، وذكر الرمان لعجب حاله وغرابته، فإنه مركب من قشر وشحم وعجم وماء، فالثلاثة باردة يابسة أرضية كثيفة قابضة عفصة قوية في هذه الصفات، وماؤه بالضد ألذ الأشربة وألطفها وأقربها إلى حيز الاعتدال، وفيه تقوية للمزاج الضعيف، غذاء من وجه ودواء من وجه، فجمع تعالى فيه بين المتضادين المتعاندين، فما أبهر قدرته وأعجب ما خلق»[(١)].

وقد يترك أبو حيان النقل عنه فيما يذكره من عجائب المخلوقات وعلوم الفلك والهيئة، وهذا قليل[(٢)].

❑❑❑

(١) البحر المحيط ٤/ ١٩٢، التفسير الكبير ١٣/ ١٥٥، وانظر: ١٩١/ ١١٧، ٤/ ٦٨-١٢/ ١٩٥.

(٢) ينظر: البحر المحيط: ٤/ ١٨٤، ٥/ ١٢٤.

Twitter: @almosahm

المبحث الخامس:

تأثره به في أصول الدين والرد على المعتزلة

اهتم الفخر الرازي في تفسيره بالحديث عن أصول الدين ومسائل الاعتقاد، وذكر الأدلة على إثبات وجود الله وألوهيته وعظمته وحكمته وإثبات المعاد والنبوة والقضاء والقدر ونحو ذلك، ورد على المخالفين، فهذا عنده هو الذي عليه مدار القرآن.

قال – رحمه الله تعالى: «اعلم أنا بينا أن مدار أمر القرآن على تقرير هذه المسائل الأربع، وهي التوحيد والنبوة والمعاد والقضاء والقدر» [(١)].

وقال أيضاً: «اعلم أن الله تعالى جعل مدار هذا الكتاب الشريف على تقرير التوحيد والنبوة والمعاد وإثبات القضاء والقدر، وأنه تعالى بالغ في تقرير هذه الأصول» [(٢)]، وكان حديثه في ذلك حديثاً مفصلاً مدعماً بالأدلة والحجج والبراهين، ودقة الاستنباط وقوة الاستدلال، معتمداً في ذلك على أدلة المتكلمين وحجج الفلاسفة ونظرياتهم وبراهينهم ومقدماتهم المنطقية وأدلتهم العقلية، وقد

---

(١) التفسير الكبير ١٤/ ١٠٢.

(٢) التفسير الكبير ١٣/ ٢٢١-٢٢٢.

Twitter: @almosahm

اعتنى الرازي بهذا العلم حيث إنه أشرف العلوم وأهمها والحاجة إليه أعظم من غيره، قال – رحمه الله تعالى – في أول تفسير سورة الأنعام: «قال الأصوليون: هذه السورة اختصت بنوعين من الفضيلة، أحدهما: أنها نزلت دفعة واحدة، والثاني: أنها شيعها سبعون ألفاً من الملائكة، والسبب فيه: أنها مشتملة على دلائل التوحيد والعدل والنبوة والمعاد وإبطال مذاهب المبطلين والملحدين، وذلك يدل على أن علم الأصول في غاية الجلالة والرفعة، وأيضاً فإنزال ما يدل على الأحكام قد تكون المصلحة أن ينزله الله تعالى قدر حاجتهم وبحسب الحوادث والنوازل، وأما ما يدل على علم الأصول فقد أنزله الله تعالى جملة واحدة، وذلك يدل على أن تعلم علم الأصول واجب على الفور لا على التراخي»[(١)].

وقد أفاد أبو حيان مما كتبه الرازي في هذا العلم واستدل له، يظهر هذا واضحاً فيما ينقله عنه في أول تفسير الآيات مبيناً وجه دلالتها على هذه المسائل الأربع، والغالب أنه لا يعزوه إلى الرازي، قال – رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ

(١) التفسير الكبير ١٢/ ١٤٩.

Twitter: @almosahm

﴿ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [1]، لما ذكر تعالى أشياء من مبدأ خلق الإنسان وأمر نبيه وانقسامهم إلى مؤمن وكافر وذكر معادهم وحشرهم إلى جنة ونار ذكر مبدأ العالم واختراعه، والتنبيه على الدلائل الدالة على التوحيد وكمال القدرة والعلم والقضاء، ثم بعد إلى النبوة والرسالة، إذ مدار القرآن على تقرير المسائل الأربع، التوحيد والقدرة والمعاد والنبوة [2]، وهذا كما سبق هو كلام الرازي في تفسير الآية مع تصرف يسير من أبي حيان ولم يعزه إليه [3]، ومثله أيضاً قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [4]. لما ذكر تعالى الدلائل على كمال إلهيته وقدرته وعلمه من العالم العلوي أتبعها بالدلائل من العالم السفلي، وهي محصورة في آثار العالم العلوي، ومنها الريح والسحاب والمطر وفي المعدن والنبات والحيوان، ويترتب على نزول المطر أحوال النبات، وذلك هو المذكور في الآية، وانجرَّ مع ذلك الدلالة على صحة الحشر والنشر والبعث والقيامة،

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.

(٢) البحر المحيط ٤/ ٣٠٧.

(٣) التفسير الكبير ١٤/ ١٠٢.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٥٧.

Twitter: @almosahm

وانتظمت هاتان الآيتان محصلتين المبدأ والمعاد»[١] [٢].

وقد يكتفي أبو حيان بالإحالة إلى ما ذكره الرازي وغيره في إحدى مسائل العقيدة وتقريراتهم فيها واستدلالاتهم عليها، قال - رحمه الله تعالى: «ومسألة الاستواء مذكورة في علم أصول الدين، وقد أمعن في تقرير ما يمكن تقريره فيها القفال وأبو عبدالله الرازي، وذكر ذلك في التحرير، فيطالع هناك»[٣].

ومما أفاده أبو حيان من الرازي في هذا الباب ردوده على المعتزلة وبخاصة الزمخشري في تفسيره الكشاف، ومناقشة أدلتهم وإبطال حججهم وتفنيد شبهاتهم، فأبو حيان والرازي على مذهب الأشاعرة، فاستفاد منه الرد عليهم فيما خالفوا فيه الحق مثل: إنكارهم رؤية الله عز وجل في الآخرة، وإنكارهم قدرة الله على العباد وأعمالهم، وأنه سبحانه لم يشأ الكفر والإيمان، فرد عليهم ذلك وبين أنهم تعسفوا في تأويل الآيات وصرفوها عن ظاهرها وما دلت عليها، وأثبت أن الكفر والإيمان والخير والشر بإرادة الله وقدرته، ومما رده عليهم مذهبهم الضال في صاحب المعصية حيث ذهبوا إلى أنه في منزلة بين الكفر والإيمان في الدنيا، وأنه مخلد في

---

(١) البحر المحيط: ٤/ ٣١٦، التفسير الكبير ١٤/ ١٤٤.

(٢) وانظر: ٤/ ٧١- ١٢/ ١٦٣، ٥/ ٣٨- ١٦/ ٥١، ٥/ ١٥٣- ١٧/ ٩٠، ١٦٤/ ١١١، ١٧٨/ ١٤١.

(٣) البحر المحيط: ٤/ ٣٠٧، التفسير الكبير ١٤/ ١٠٦-١٢٢.

Twitter: @almosahm

النار في الآخرة وغير ذلك من المسائل، والأمثلة على هذا كثيرة، منها رد الرازي على قول الزمخشري في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾ [١] حيث قال: «قال الزمخشري: ولو شاء الله لجمعهم على الهدى بآية ملجئة، ولكنه لا يفعل لخروجه عن الحكمة»اهـ[٢]. وهذا قول المعتزلة .. وأجاب أبو عبدالله الرازي بأنه تعالى أراد منهم الإقدام على الإيمان حال كون الداعي إلى الإيمان وإلى الكفر بالسوية، أو حال حصول هذا الرجحان، والأول تكليف ما لا يطاق؛ لأن الأمر بتحصيل الرجحان حال حصول الاستواء تكليف بالجمع بين النقيضين وهو محال، وإن كان الطرف الثاني، فالطرف الراجح يكون واجب الوقوع، والطرف المرجوح يكون ممتنع الوقوع وكل هذه الأقسام تنافي ما ذكروه من المكنة والاختيارات فسقط قولهم بالكلية [٣] ومما رد فيه أبو حيان مذهب الزمخشري ومن معه من المعتزلة معتمداً في ذلك على الرازي في تفسيره قولهم في تفسير قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [٤]. حيث قال: «قال الزمخشري: وهو التمرد والعتو [٥]، والأولى أن يحمل

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٣٥.

(٢) الكشاف: ٢/ ١٦.

(٣) البحر المحيط: ٤/ ١١٥، التفسير الكبير: ١٢/ ٢١٨.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٥٣.

(٥) الكشاف ٢/ ١٩٦.

Twitter: @almosahm

على الكفر، قال أبو عبدالله الرازي: هذه إشارة إلى أن عدم القبول معلل بكونهم فاسقين، فدل على أن الفسق يؤثر في إزالة هذا المعنى.

وأكد الجبائي ذلك بدليله المشهور في هذه المسألة، وهو أن الفسق يوجب الندم والعقاب الدائمين، والطاعة توجب المدح والثواب الدائمين، والجمع بينهما محال، فكان الجمع بين استحقاقهما محالاً، وقد أزال الله هذه الشبهة بقوله: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾[1]، وأنه بصريح هذا اللفظ لا يؤثر في القبول إلا الكفر، ودل ذلك على أن مطلق الفسق لا يحبط الطاعات، فنفى تعالى أن عدم القبول ليس معللاً بعموم كونه فسقاً، بل بخصوص وصفه، وهو كون الفسق كفراً، فثبت أن استدلال الجبائي باطل، انتهى، وفيه بعض تلخيص»[2].

وقد يُعرض أبو حيان عن تفسير الزمخشري لما فيه من الاعتزاليات ويرتضي بدله كلام الرازي السالم من ذلك المذهب، ففي تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[3].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٥٤.

(٢) البحر المحيط ٥/ ٣٥، التفسير الكبير ١٦/ ٩١.

(٣) سورة يونس، الآية: ٩٦.

Twitter: @almosahm

قال – رحمه الله تعالى: «وقال الزمخشري: قول الله تعالى الذي كتبه في اللوح وأخبر به الملائكة أنهم يموتون كفاراً فلا يكون غيره، وتلك كتابة معلوم لا كتابة مقدر ومرادٍ لله، تعالى الله عن ذلك، انتهى [(١)]، وكلامه أخيراً على طريقة الاعتزال.

ثم ارتضى تفسير الرازي حيث قال: «وقال أبو عبدالله الرازي: المراد من هذه الكلمة حكم الله بذلك وإخباره عنه وخلقه في العبد مجموع القدرة والداعية، وهو موجب لحصول ذلك الأمر» [(٢)].

❐❐❐

(١) الكشاف ٢/ ٢٥٣.

(٢) البحر المحيط ٥/ ١٩٢، التفسير الكبير ١٧/ ١٧٠، وانظر: ٤/ ٧١-١٢/ ١٦٢، ٧٣/ ١٦٥، ١٠٤/ ٢٠٤.

Twitter: @almosahm

المبحث السادس:

تأثره به في أصول الفقه

الإمامان الفخر الرازي وأبو حيان الأندلسي من فقهاء الشافعية وعلمائهم في أصول الفقه، حيث ترجم لهما من ألف في طبقات الشافعية، فقد اعتنيا بهذا العلم، حيث حفظا المتون فيه ثم قرآ في المطولات، وأخذا عن علمائه حتى انتهى بهما الأمر إلى تدريسه وتعليمه طلابهم، ولكون الرازي متقدماً على أبي حيان ويجمعهما عمل واحد وجهد مبارك ألا وهو التفسير، فقد تأثر أبو حيان به من حيث ذكر المسائل الأصولية واستنباط القواعد الفقهية من الآيات، وهو أحد أئمة هذا الشأن، فله فيه كتاب المحصول في أصول الفقه.

وأمثلة ما نقله أبو حيان من التفسير الكبير من المسائل الأصولية والقواعد الفقهية كثيرة جداً، وكان يتصرف يسيراً في هذا النقل.

من ذلك قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾[1]. وقال أبو عبدالله الرازي: (وأولي الأمر منكم) إشارة إلى الإجماع، والدليل عليه أنه أمر بطاعة أولي

---

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

Twitter: @almosahm

الأمر على سبيل الجزم في هذه الآية، ومن أمر بطاعته على الجزم والقطع لا بد أن يكون معصوماً عن الخطأ، وإلا لكان بتقدير إقدامه على الخطأ مأموراً باتباعه والخطأ منهي عنه، فيؤدي إلى اجتماع الأمر والنهي في فعل واحد باعتبار واحد، وأنه محال، وليس أحد معصوماً بعد الرسول إلا جمع الأمة أهل العقد والحل، وموجب ذلك أن إجماع الأمة حجة [(١)].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ [(٢)]، ويستدل به على أن الأصل في المنافع الإباحة، والإطلاق قيده بقوله (إذا أثمر) وإن كان من المعلوم أنه إذا لم يثمر فلا أكل تنبيهاً على أنه لا ينتظر به محل إدراكه واستوائه، بل متى أمكن الأكل منه فعل [(٣)].

وفي بعض المواضع يقتصر أبو حيان على ذكر المسألة مختصرة ثم يحيل إلى بعض الذين توسعوا في الحديث عنها بذكر تفاصيلها وفروعها وأدلتها، مثل الرازي في تفسيره.

---

(١) البحر المحيط: ٣/ ٢٧٩، التفسير الكبير ١٠/ ١٤٨.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٤١.

(٣) البحر المحيط ٤/ ٢٣٧، التفسير الكبير ١٣/ ٢٢٣، وانظر: ٥/ ١١-١٥/ ٢٣٦، ٥/ ١٧٧-١٧/ ١٤٠.

Twitter: @almosahm

كقوله في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ [(١)]، وقد استدل نفاة القياس ومثبتوه بقوله: (فردوه إلى الله والرسول) وهي مسألة يبحث عنها في أصول الفقه [(٢)].

وقال أيضاً في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْ ﴾ [(٣)]، وتكلموا هنا على صيغة الأمر إذا جاءت بعد الحظر، وعليها إذا جاءت مجردة عن القرائن وعلى ما تحمل عليه وعلى مواقع استعمالها، وذلك من علم أصول الفقه فيبحث عن ذلك فيه [(٤)].

ومثل طريقته التي سلكها هنا مع مسائل أصول الفقه فعل أيضاً مع المسائل الفقهية، فكان يذكر المسألة باختصار مما تدل عليه الآية محيلاً في بسط أقوال المذاهب وأدلتهم ومناقشتهم إلى كتب الفقه، ولم يرتض صنيع بعض المفسرين ومنهم الرازي الذين أطالوا بهذا التوسع تفاسيرهم.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٢) البحر المحيط ٣/ ٢٧٩، التفسير الكبير ١٠/ ١٥١، وانظر: البحر المحيط: ١/ ٣٤١، ٦/ ٤٣٣.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٢.

(٤) البحر المحيط: ٣/ ٤٢١، التفسير الكبير ١١/ ١٣٣.

Twitter: @almosahm

كقوله في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾ [١]، وقد طول الزمخشري [٢] وغيره بذكر فروع كثيرة في السلام، وموضوعها علم الفقه [٣]، وممن أطال الحديث في هذه المسألة الرازي في تفسيره [٤].

❐❐❐

(١) سورة النساء، الآية: ٨٦.

(٢) الكشاف ١/ ٥٤٩-٥٥٠.

(٣) البحر المحيط: ٣/ ٣١٠.

(٤) التفسير الكبير ١٠/ ٢١٤، ٢٢١، وانظر: البحر المحيط ١/ ٣٨٩، ٤٨٩، ٢/ ٣١، ٣٤، ١١١، ٣٢٢، ٤٥٩، ٣/ ٢٥٨، ٢٦٠.

Twitter: @almosahm

الفصل الثالث:

اعتراضات أبي حيان على الفخر الرازي

رجع أبو حيان في تفسيره إلى مصادر متنوعة في التفسير والقراءات واللغة والنحو وغير ذلك، ولم يكن في ذلك ناقلاً فقط، بل كانت له شخصيته الواضحة في حسن الانتقاء والإفادة من مصادره، وموقفه الظاهر تجاه ما ليس بصواب عنده، فيعترض عليه مبيناً خطأه ومخالفته للصواب، وموضحاً ما هو الحق في هذه المسألة، وقد يشتد نكيره على المخالف.

ومن الأئمة الذين كانت له معهم وقفات متأنية، يفيد منهم ويناقشهم، ويعترض عليهم ويبين خطأهم الفخر الرازي في تفسيره، وقد سبق بيان أوجه تأثره به وضرب الأمثلة على ذلك، وفي هذا الفصل بيان اعتراضاته عليه ومناقشاته آراءه وردوده عليه، وذلك من خلال المباحث التالية:

Twitter: @almosahm

Twitter: @almosahm

المبحث الأول:

اعتراضه على منهجه في كتابة التفسير

ذكر أبو حيان منهجه في كتابة تفسيره وألزم نفسه به، ومما اهتم به وأكد عليه في المقدمة وفي ثنايا تفسيره عدم التطويل وجمع ما لا يصح وشحن كتب التفسير به، من قصص باطلة وتواريخ إسرائيلية وأقوال متناقضة وحكايات ساقطة، ومن ذلك ما ذكره بعض المفسرين من الحكايات الباطلة والأقوال المتعارضة في الدابة التي جاء ذكرها في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ [1]، وقد اطرح أبو حيان ذكر هذا في تفسيره وأعرض عنه، قال - رحمه الله تعالى: «واختلفوا في ماهيتها وشكلها ومحل خروجها وعدد خروجها، ومقدار ما يخرج منها وما تفعل بالناس وما الذي تخرج به اختلافاً مضطرباً معارضاً بعضه بعضاً، فاطرحنا ذكره؛ لأن نقله تسويد للورق بما لا يصح وتضييع لزمان نقله» [2]، ومثل هذا ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ [3]، بقوله: «وذكروا في ذلك اختلافاً وقصصاً كثيراً

---

(١) سورة النمل، الآية: ٨٢.

(٢) البحر المحيط: ٧/ ٦٩، ٩٧.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٧١.

Twitter: @almosahm

مضطرباً، أضربنا عن نقله صفحاً، كعادتنا في أكثر القصص الذي ينقلونه، إذ لا ينبغي أن ينقل من ذلك إلا ما صح عن الله تعالى أو عن رسوله في قرآن أو سنة»[(١)].

واشتد نكيره على من أولع بنقل الغريب في حال لقمان وما كان يعانيه بقوله: وهذا الاضطراب في كونه حراً أو عبداً، أو في جنسه وفيما كان يعانيه، يوجب ألا يكتب شيء من ذلك ولا ينقل، لكن المفسرون مولعون بنقل المضطربات حشواً وتكثيراً، والصواب تركه[(٢)].

ومما يراه أبو حيان في منهج كتابة التفسير ألا تطول كتب التفسير بنقل أدلة المذاهب في الفقه وأصوله وأصول الدين والنحو والصرف والتوسع في بيان أدلتهم وغير ذلك من العلوم الأخرى، بل يذكر في التفسير الراجح منها دون التوسع في الاستدلال عليه، حيث قال: «وكثيراً ما يشحن المفسرون تفاسيرهم من ذلك الإعراب بعلل النحو ودلائل أصول الفقه ودلائل أصول الدين، وكل هذا مقرر في تأليف هذه العلوم، وإنما يؤخذ ذلك مسلماً في علم التفسير دون استدلال عليه، وكذلك أيضاً ذكروا ما لا يصح من أسباب نزول وأحاديث في الفضائل وحكايات لا تناسب وتواريخ إسرائيلية، ولا ينبغي ذكر هذا في علم التفسير[(٣)].

---

(١) البحر المحيط: ١/ ٢٥٨.

(٢) البحر المحيط: ٧/ ١٦٨.

(٣) البحر المحيط: ١/ ٥.

Twitter: @almosahm

وقد التزم هذا الأمر في تفسيره حيث كان يذكر الراجح في المسألة عنده أو يشير إليها ثم يحيل للتوسع والنظر فيها إلى الكتب الأصول فيها، فمن ذلك قوله: «وتقرير هذا في علم التصريف»[(١)]، أو هو مذكور في علم النحو، أو مستوفى في علم النحو، أو في المبسوطات في النحو، أو مشروحة في كتب النحو[(٢)]، أو هذه المسألة يبحث عنها بالتفصيل في أصول الدين[(٣)]، أو تذكر في كتب الفقه[(٤)]، أو يحيل على كتبه منهج السالك، أو التكميل، أو التذييل والتكميل في شرح التسهيل[(٥)].

والرازي عند أبي حيان لم يلتزم هذا المنهج في كتابة تفسيره ولم يسر على الطريق الذي اختطه أبو حيان في كتابة التفسير وارتضاه، فنراه يعترض عليه هذه الطريقة وينكر عليه تلك المخالفة، يتضح ذلك من خلال ما يلي:

أولاً: أنكر أبو حيان على الرازي مصرحاً باسمه تطويل تفسيره

---

(١) البحر المحيط: ١/ ٥٢، ٢/ ٢٨٦.

(٢) البحر المحيط: ١/ ٣٥، ٤١، ١٤٢، ١٥٦، ١٧٢، ٢٧٣، ٢٨٨، ٣٣٨، ٢/ ٨٨، ٢١٣، ٢٣٦، ٣١٦.

(٣) البحر المحيط: ١/ ٤٨، ١٠٩، ١٢٥، ١٤٣، ٢٧٩، ٤٠٥، ٢/ ٢٧٧.

(٤) البحر المحيط: ١/ ٣٧٩، ٤٨٩، ٢/ ٣١، ١١١، ٣٢٢، ٤٥٩، ٣/ ٢٥٨، ٢٦٠.

(٥) البحر المحيط: ٢/ ١٩، ١٤٠، ٣/ ١٠٦، ١٢٦، ٤/ ٩٩، ٥/ ١٣، ٦/ ٣٩٣، ٤٣٣، ٧/ ٤٩٣، ٨/ ٤٣، ٢١٦.

Twitter: @almosahm

بأشياء لا حاجة إليها في علم التفسير، بل هي من فضول العلم، وعاب عليه استطراده في النقل عن غيره، وتوسعه في ذكر المذاهب وأدلتها وذكر فروع المسائل الفقهية ونحو ذلك، قال – رحمه الله تعالى – في تفسير قوله تعالى: ﴿ ۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾[1].

وقد تكلم المفسرون هنا في حقيقة النسخ وأقسامه، وما اتفق عليه منه وما اختلف فيه، وفي جوازه عقلاً ووقوعه شرعاً وبماذا ينسخ، وغير ذلك من أحكام النسخ ودلائل تلك الأحكام وطولوا في ذلك، وهذا كله موضوعه موضوع علم أصول الفقه، فيبحث في ذلك كله فيه.

وهكذا جرت عادتنا أن كل قاعدة في علم من العلوم يرجع في تقريرها إلى ذلك العلم، ونأخذها في علم التفسير مسلمة من ذلك العلم، ولا نطول بذكر ذلك في علم التفسير، فنخرج عن طريقة التفسير، كما فعله أبو عبدالله محمد بن عمر الرازي المعروف بابن خطيب الري، فإنه جمع في كتابه في التفسير أشياء كثيرة طويلة لا حاجة بها في علم التفسير، ولذلك حكي عن بعض المتطرفين من العلماء أنه قال: فيه كل شيء إلا التفسير.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٦.

Twitter: @almosahm

وقد ذكرنا في الخطبة ما يحتاج إليه علم التفسير، فمن زاد على ذلك فهو فضول في هذا العلم. ونظير ما ذكره الرازي وغيره أن النحوي مثلاً يكون قد شرع في وضع كتاب في النحو فشرع يتكلم في الألف المنقلبة، فذكر أن الألف في (الله) أهي منقلبة عن ياء أو واو، ثم استطرد من ذلك إلى الكلام في الله تعالى فيما يجب له ويجوز عليه ويستحيل، ثم استطرد إلى جواز إرسال الرسل منه تعالى إلى الناس، ثم استطرد إلى أوصاف الرسول ﷺ، ثم استطرد من ذلك إلى إعجاز ما جاء به القرآن وصدق ما تضمنه، ثم استطرد إلى أن من مضمونه البعث والجزاء بالثواب والعقاب، ثم المثابون في الجنة لا ينقطع نعيمهم، والمعاقبون في النار لا ينقطع عذابهم.

فبينما هو في علمه يبحث في الألف المنقلبة إذا هو يتكلم في الجنة والنار. ومن هذا سبيله في العلم فهو من التخليط والتخبيط في أقصى الدرجة، وكان أستاذنا العلامة أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي – رحمه الله – يقول ما معناه: متى رأيت الرجل ينتقل من فن إلى فن في البحث أو التصنيف فاعلم أن ذلك إما لقصور علمه بذلك الفن، أو لتخليط ذهنه وعدم إدراكه، حيث يظن أن المتغايرات متماثلات، وإنما أمعنت الكلام في هذا الفصل لينتفع به من يقف عليه، ولئلا يعتقد أنا لم نطلع على ما أودعه الناس في كتبهم في التفسير، بل إنما تركنا ذلك عمداً واقتصرنا

Twitter: @almosahm

على ما يليق بعلم التفسير، وأسأل الله التوفيق للصواب [١].

ثانياً: قد يعترض أبو حيان على هذا المنهج لدى جمع من المفسرين ومنهم الرازي، لكن لا يصرح باسمه، ويعرف هذا بالرجوع إلى تفسيره حيث يظهر أنه ممن قصدهم أبو حيان، وبخاصة أنه ينقل عنه بعض العبارات في تفسيره.

ومن ذلك قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [٢]: وذكر المفسرون من كلام الناس في التفكر ومن أعيان المتفكرين كثيراً، رأينا أن لا نطول كتابنا بنقلها [٣]، وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾ [٤]، وقد طول الزمخشري وغيره بذكر فروع كثيرة في السلام، وموضوعها علم الفقه [٥].

ثالثاً: عاب أبو حيان نقل بعض المفسرين ومنهم الرازي حكايات باطلة وقصصاً وأخباراً لا تصح، وأقوالاً متناقضة في تفسير بعض الآيات، لا دليل عليها من كتاب ولا سنة، من ذلك قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ

---

(١) البحر المحيط: ١/ ٣٤١، ٣٤٢.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٩١.

(٣) البحر المحيط: ٣/ ١٣٩.

(٤) سورة النساء، الآية: ٨٦.

(٥) البحر المحيط: ٣/ ٣١٠، وانظر: الكشاف ١/ ٥٤٩، ٥٥٠، التفسير الكبير ١٠/ ٢١٧ - ٢٢١.

Twitter: @almosahm

﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [١]: «واختفلوا في عدد المفروق بهم وعدد آل فرعون على أقوال يضاد بعضها بعضاً، وحكوا في كيفية خروج بني إسرائيل وتعنتهم وهم في البحر مقتحمون، وفي كيفية خروج فرعون بجنوده حكايات مطولة جداً، لم يدل القرآن ولا الحديث الصحيح عليها، فالله أعلم بالصحيح منها» [٢].

وكقوله في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ﴾ [٣]، وقد نقل المفسرون عن ابن عباس والسدي وغيرهما قصصاً كثيراً مختلفاً في سبب اتخاذ العجل وكيفية اتخاذه، وانجر مع ذلك أخبار كثيرة الله أعلم بصحتها، إذ لم يشهد بصحتها كتاب ولا حديث صحيح، فتركنا نقل ذلك، على عادتنا في هذا الكتاب [٤].

ومع هذا فقد يطيل أبو حيان الحديث في مسألة أو بنقل أقوال في تفسير الآية لا دليل عليها، ويعترف على نفسه بأنه قد أطال لكن لمصلحة وحاجة، مثل إطالة الحديث عن أهل بلده مصر الذين أنفقوا أموالهم وبذلوا جهودهم وأتعبوا أنفسهم في البحث عن الكنوز

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٥٠.

(٢) البحر المحيط ١/ ١٩٨، وانظر: التفسير الكبير ٣/ ٧٥.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٥١.

(٤) البحر المحيط، ١/ ٢٠١، التفسير الكبير ٣/ ٧٩-٨٠، وانظر: ٢٢٧/ ١٠٢.

Twitter: @almosahm

المذكورة في قوله تعالى: ﴿ فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ ﴾ [(١)]، معتمدين على خرافات باطلة وحكايات ساقطة ثم قال: «ولا يحصلون على شيء غير ذهاب أموالهم، ولهم أشياء من نحو هذه الخرافات يركنون إليها ويقولون بها، وإنما أطلت في هذا على سبيل التحذير لمن يعقل» [(٢)].

❐❐❐

(١) سورة الشعراء، الآيتان: ٥٧، ٥٨.

(٢) البحر المحيط ٧/ ١٩، وانظر: ٦/ ١٨١.

Twitter: @almosahm

المبحث الثاني:

اعتراضه عليه ذكر أقوال الفلاسفة في التفسير وتحذيره منهم

جاء في ترجمة أبي حيان أن من الأسباب التي دفعته إلى الخروج من الأندلس خشيته على نفسه أن يلزم بتعلم الفلسفة ويرتب له راتب جيد، ففر هارباً إلى المشرق [(١)]، وقد ذكر أن الناس قد اشتغلوا بجهالات الفلاسفة وسرت هذه العدوى بينهم دون نكير لها مع جهلهم وقلة علمهم، بل ينكرون على من جهلها، يقول – رحمه الله: «وقد غلب في هذا الزمان وقبله بقليل الاشتغال بجهالات الفلاسفة على أكثر الناس، ويسمونها الحكمة، ويستجهلون من عري عنها ويعتقدون أنهم الكملة من الناس، ويعكفون على دراستها، ولا تكاد تلقى أحداً منهم يحفظ قرآناً ولا حديثاً عن رسول الله ﷺ، ولقد غضضت مرة من ابن سنيا ونسبته للجهل، فقال لي بعضهم – وأظهر التعجب من كون أحد يغض من ابن سينا – كيف يكون أعلم الناس بالله ينسب للجهل .. ولما حللت بديار مصر ورأيت كثيراً من أهلها يشتغلون بجهالات الفلاسفة ظاهراً من غير أن ينكر ذلك أحد تعجبت من ذلك، إذ كنا نشأنا في جزيرة

---

(١) ينظر: بغية الوعاة ١/ ٢٨١، شذرات الذهب ٦/ ١٤٦.

Twitter: @almosahm

الأندلس على التبرؤ من ذلك والإنكار له، وأنه إذا بيع كتاب في المنطق إنما يباع خفية، وأنه لا يتجاسر أن ينطق بلفظ المنطق، إنما يسمونه المفعل»[(١)].

ورأي أبي حيان في هؤلاء الفلاسفة أنهم منافقون يتسترون بالإسلام ظاهراً، فلا بد من تأديبهم وإيقاع العقوبة المناسبة عليهم، كما صنع بعض ولاة زمانه ومُدح بذلك[(٢)]، قال – رحمه الله تعالى – عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾[(٣)]: وما زال في كل عصر منافقون يتسترون بالإسلام ويحضرون الصلوات، كالمتفلسفين الموجودين في عصرنا هذا، وقد أشار بعض علمائنا إليهم في شعر قاله، وضمن فيه بعض الآية، فقال في أبي الوليد بن رشد الحفيد وأمثاله من متفلسفة الإسلام

لأشياع الفلاسفة اعتقاد ... يرون به عن الشرع انحلالا
أباحوا كل محظور حرام ... وردوه لأنفسهم حلالا
وما انتسبوا إلى الإسلام إلا ... لصون دمائهم أن لا تسالا
فيأتون المناكر في نشاط ... ويأتون الصلاة وهم كسالا[(٤)]

---

(١) البحر المحيط ٥/ ١٤٩-١٥٠.

(٢) هو: المنصور بن يعقوب بن يوسف ملك المغرب والأندلس، البحر المحيط: ٥/ ١٤٩.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٤٢.

(٤) البحر المحيط ٣/ ٣٣٧.

Twitter: @almosahm

لذا فقد أنكر على الرازي تسميتهم حكماء الإسلام في مواضع كثيرة من تفسيره، والحق أنهم أجهل الكفرة بالله وبأنبيائه، فكيف يجوز نقل أقوالهم في تفسير كلام الله عز وجل، والواجب التحذير من طريقتهم وجهالاتهم وبيان ضررهم على الأمة، قال - رحمه الله تعالى - في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ ﴿٢١﴾ ﴾[1].

وقال أبو عبدالله الرازي: تأويل الحكماء أن النفس إذا فارقت الجسد فكأنه زال الغطاء وبقيت متجردة بذاتها عارية عن كل ما سواها، وذلك هو البروز لله تعالى، وهذا الرجل كثيراً ما يورد كلام الفلاسفة وهم مباينون لأهل الشرائع في تفسير كلام الله تعالى المنزل بلغة العرب، والعرب لا تفهم شيئاً من مفاهيم أهل الفلسفة، فتفسيرهم كاللغز والأحاجي، ويسميهم هذا الرجل حكماء، وهم من أجهل الكفرة بالله تعالى وبأنبيائه، وقال - رحمه الله تعالى: «كثيراً ما ينقل هذا الرجل عن حكماء الإسلام في التفسير، وينقل كلامهم تارة منسوباً إليهم وتارة مستبداً به،

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٢١.

Twitter: @almosahm

ويعني بحكماء (الإسلام) [١] الفلاسفة الذين خلقوا في هذه الملة الإسلامية، وهم أحق بأن يسموا سفهاء جهلاء من أن يسموا حكماء، إذ هم أعداء الأنبياء المحرفون للشريعة الإسلامية، وهم أضر على المسلمين من اليهود والنصارى» [٢].

وفي موضع آخر أكد أبو حيان على وجوب تطهير تفسير القرآن من أقوال الفلاسفة وغيرهم من أصحاب المذاهب الضالة كالباطنية والصوفية فهم زنادقة تستروا بانتمائهم إلى الإسلام، والقرآن براء مما ذكروه عنه، قال – رحمه الله تعالى – بعد ذكر أقوال أرباب الإشارات في قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١﴾ [٣]، وهذا مذهب الباطنية ومذاهب من ينتمي إلى الإسلام من غلاة الصوفية، وقد أشرنا إليهم في خطبة هذا الكتاب، وإنما هؤلاء زنادقة تستروا بالانتماء إلى ملة الإسلام، وكتاب الله جاء بلسان عربي مبين لا رمز فيه ولا لغز ولا باطن ولا إيماء لشيء مما تنتحله الفلاسفة ولا أهل الطبائع، ولقد ضمن تفسيره أبو عبدالله الرازي المعروف بابن خطيب الري أشياء مما قاله الحكماء عنده وأصحاب النجوم وأصحاب الهيئة، وذلك كله بمعزل عن تفسير كتاب الله عز وجل، وكذلك ما ذكره صاحب التحرير والتحبير في آخر ما

---

(١) هكذا في المخطوط ٥/ ١٢٤ ب، وهو ساقط في المطبوع.

(٢) البحر المحيط: ٥/ ١٤٩.

(٣) سورة التكوير، الآية: ١.

Twitter: @almosahm

يفسره من الآيات من كلام من ينتمي إلى الصوف ويسميها الحقائق، وفيها ما لا يحل كتابته فضلاً عن أن يعتقد، نسأل الله تعالى السلامة في ديننا وعقائدنا وما به قوام ديننا ودنيانا»[(١)].

وبناء على ما سبق فإن أبا حيان ينتقد تعلق الرازي بكلام الفلاسفة وانتحاله طريقتهم وذكر إشاراتهم الفلسفية في تفسيره، تكثراً بما لا طائل تحته ولا نفع فيه، قال – رحمه الله تعالى فيه: «وهذا الرجل غرضه جريان ما تنتحله الفلاسفة على مناهج الشريعة، وذلك لا يكون أبداً»[(٢)].

وقال أيضاً بعد أن نقل بعض كلامه الطافح بإشارات الفلاسفة: «وهو تكثير لا طائل تحته، طافح بإشارات أهل الفلسفة، بعيد من مناهج المتشرعين وعن مناحي كلام العرب، ومن غلب عليه شيء (ذكره)[(٣)] حتى في غير مظانه، ولله در القائل يغري منصور الموحدين بأهل الفلسفة من قصيده:

وحرق كتبهم شرقاً وغرباً ... ففيها كامن شر العلوم
يدب إلى العقائد من أذاها ... سموم والعقائد كالجسوم[(٤)]

وقال أيضاً منكراً عليه ولعله بنقل كلام الفلاسفة في تفسير

---

(١) البحر المحيط ٨/ ٤٣٢-٤٣٣، وانظر: ٤/ ١٦٨.

(٢) البحر المحيط: ٥/ ٣٧٥.

(٣) هكذا في المخطوط ٤/ ١٥٩ أ، وهو ساقط في المطبوع.

(٤) البحر المحيط ٤/ ١٤٠، وانظر: ٣/ ٨٩.

Twitter: @almosahm

قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾ ﴾ (١).

قال أبو عبدالله الرازي: هذه الآية تنبيه على أمرين من أحوال المعاد: الأول: إشراق الأرواح بأنوار المعرفة، والثاني: كونهم مع النبيين، وليس المراد بهذه المعية في الدرجة فإن ذلك ممتنع، بل معناه أن الأرواح الناقصة إذا استكملت علائقها مع الأرواح الكاملة في الدنيا بقيت بعد المفارقة تلك العلائق فينعكس الشعاع من بعضها على بعض فتصير أنوارها في غاية القوة، فهذا ما خطر لي، انتهى كلامه، وهو شبيه بما قالته الفلاسفة في الأرواح إذا فارقت الأجساد، وأهل الإسلام يأبون هذه الألفاظ ومدلولاتها، ولكن من غلب عليه شيء وأحبه جرى في كلامه (٢).

وقد لا يكتفي أبو حيان بالإنكار على الرازي ولعله بنقل أقوال الفلاسفة وإشاراتهم في تفسير الآيات بل يرد عليه قوله ويبطل ما ذكره، معتمداً على غيره في ذلك، من ذلك قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ

(١) سورة النساء، الآية: ٦٩.

(٢) البحر المحيط: ٣/ ٢٨٦، ٢٨٧.

Twitter: @almosahm

صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [١]، وقال أبو عبدالله الرازي: إنما كانت صلاته سكناً لهم؛ لأن روحه ﷺ كانت روحاً قوية مشرقة صافية، فإذا دعا لهم وذكرهم بالخير ثارت آثار من قوته الروحانية على أرواحهم، فأشرقت بهذا السبب أرواحهم وصفت سرائرهم، وانقلبوا من الظلمة إلى النور ومن الجسمانية إلى الروحانية [٢]، قال الشيخ جمال الدين أبو عبدالله محمد بن سليمان عرف بابن النقيب في كتابه التحرير والتحبير: «كلام الرازي كلام فلسفي يشير فيه إلى أن قوى الأنفس مؤثرة فعالة، وذلك غير جائز على طريقة أهل التفسير» انتهى [٣].

وحيناً يكتفي أبو حيان بالإشارة إلى أن كلام الرازي شبيه بكلام الفلاسفة، ثم يرد عليه، حيث قال – رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [٤]. وقد أبدى الفخر الرازي الخيرية هنا فقال: خيرات الدنيا خسيسة وخيرات الآخرة شريفة.. [٥] انتهى ما لخص من كلامه مع اختلاف بعض ألفاظ، وهي شبيهة

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٣.

(٢) التفسير الكبير ١٦/ ١٨٨.

(٣) البحر المحيط: ٥/ ٩٥، ٩٦.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٣٢.

(٥) التفسير الكبير ١٢/ ٢١١، ٢١٢.

Twitter: @almosahm

بكلام أهل الفلسفة؛ لأن السعادات الأخروية عندهم هي روحانية فقط واعتقاد المسلمين أنها لذات جسمانية وروحانية، وأيضاً ففي كلامه انتقاد من حيث إن بعض الأوصاف التي حقرها هو جعلها الله في بعض من اصطفاه من خلقه، فلا تكون تلك الصفة إلا شريفة، لا كمال قاله هو من أنها صفة خسيسة»[(١)].

وفي مواضع من البحر المحيط أحال أبو حيان على كلام فلسفي للرازي في تفسيره ولم ينقله، منكراً عليه ذلك، من ذلك قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾[(٢)]، وذكر أبو عبدالله الرازي هنا كلاماً كثيراً ممزوجاً بما يسمونه حكمة نعلم قطعاً أن العرب لا تفهم ذلك الذي قرره من ألفاظ القرآن وطوَّل في ذلك وضرب أمثلة حسية، يوقف عليها من تفسيره[(٣)].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾[(٤)]، ولأبي عبدالله الرازي كلام في تكريم

---

(١) البحر المحيط ٤/ ١٠٩، ١١٠.

(٢) سورة يونس، الآية: ٥٧.

(٣) البحر المحيط ٥/ ١٧٠، التفسير الكبير ١٧/ ١٢٠، ١٢١.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.

Twitter: @almosahm

ابن آدم وتفضيله مستمد من كلام الذين يسمونهم حكماء، يوقف عليه في تفسيره، إذ هو جار على غير طريقة العرب في كلامها [١].

إن الرازي في نظر أبي حيان مولع بكلام الفلاسفة منتحل طريقتهم، ولهذا فقد يخالف ظاهر الآية، وقد يفسرها بما لا تفهمه العرب ولا تعرفه من كلامها جرياً على مذهبهم، فيعقب على كلام الرازي بمثل قوله: «وهو بعيد من مناحي كلام العرب ومفهوماتها» [٢]، وقوله: «وهذا كلام فلسفي لا تفهمه العرب ولا جاءت به الأنبياء، فهو كلام مطرح لا يلتفت إليه المسلمون» [٣].

ومع هذا فقد ينقل عنه أبو حيان كلاماً فلسفياً في تفسير بعض الآيات دون تعليق أو رد، وهذا قليل، ومن أمثلة ذلك قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [٤]، قال أبو عبدالله الرازي: المراد (بالسر) صفات القلوب، وهو الدواعي والصوارف و(بالجهر) أعمال الجوارح، وقدم السر؛ لأن ذكر المؤثر في الفعل هو مجموع القدرة مع الداعي، فالداعية التي هي من باب السر هي المؤثرة في أعمال

---

(١) البحر المحيط ٦/ ٦٢، التفسير الكبير ٢١/ ١٣-١٦.

(٢) البحر المحيط ٤/ ٢١٤، وانظر: ٤/ ٢٧٦.

(٣) البحر المحيط ٥/ ٣٨٧، وانظر: ٤/ ٣٨١، ٦/ ٧١.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٣.

Twitter: @almosahm

الجوارح المسماة بالجهر، وقد ثبت أن العلم بالعلة علة للعلم بالمعلول، والعلة متقدمة على المعلول، والمقدم بالذات يجب تقديمه بحسب اللفظ، انتهى [(١)]، ولم يعلق على كلامه بشيء [(٢)].

❑❑❑

(١) التفسير الكبير ١٢/ ١٦٥، البحر المحيط ٤/ ٧٣.

(٢) وانظر: البحر المحيط ٤/ ١١٥، التفسير الكبير ١٢/ ٢١٨، ٤/ ١٦٦، ١٣/ ٤٨، ٦/ ٧٥، ٢١/ ٣٦.

Twitter: @almosahm

المبحث الثالث:

جهل الرازي بالنحو عند أبي حيان ورده الشديد عليه

أبو حيان من أئمة النحو والصرف واللغة، فقد حفظ في صغره بعض متونها أو رواها بالإجازة ثم قرأها على شيوخه، يقول – رحمه الله تعالى: «وقد حفظت في صغري في علم اللغة كتاب الفصيح لأبي العباس أحمد بن يحيى الشيباني، واللغات المحتوي عليها دواوين مشاهير العرب الستة: امرئ القيس والنابغة وعلقمة وزهير وطرفة وعنترة، وديوان الأفوه الأودي، لحفظي عن ظهر قلب لهذه الدواوين، وحفظت كثيراً من اللغات المحتوي عليها نحو الثلث من كتاب الحماسة واللغات التي تضمنتها قصائد مختارة من شعر حبيب بن أوس لحفظي ذلك» (١). وقال أيضاً: «ومن كتب النحو والأدب أروي بالقراءة كتاب سيبويه والإيضاح والتكملة والمفصل وجمل الزجاجي وغير ذلك» (٢).

ثم جلس لإقراء النحو والصرف وتعليمه وشرح متونه لطلابه، وألف فيه ما بين مختصر ومطول، فكان عمدة في ذلك، ومن

---

(١) البحر المحيط: ١/ ٦.

(٢) نفح الطيب ٢/ ٥٥٠.

Twitter: @almosahm

أشهر ما كتبه: التذييل والتكميل في شرح التسهيل، ارتشاف الضرب من لسان العرب، منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك، تقريب المقرب، المبدع الملخص من الممتع.

وقد أثنى عليه بإمامته في هذا الفن أهل التراجم، يقول الصفدي: «وأما النحو والتصريف فهو إمام الدنيا فيهما، لم يذكر معه في أقطار الأرض غيره في العربية»، وذكر أيضاً: «أنه التزم ألا يقرئ أحداً إلا إن كان في كتاب سيبويه أو في التسهيل لا بن مالك أو في تصانيفه»[(١)].

وله في تفسيره البحر المحيط وقفات متأنية مع آي الذكر الحكيم، بياناً لغريبها وإعراباً لمفرداتها وذكراً للمسائل الخلافية النحوية والتصريفية المرتبطة بها، مع اختيار ما يراه الراجح في معظم ما تكلم عنه، وظهور شخصيته فيما تحدث عنه.

وكانت له مواقف متعددة من العلماء المفسرين وغيرهم، ومن أولئك الإمام الفخر الرازي، الذي لم يكن عالماً بالنحو عند أبي حيان بل يجهل الكثير من قواعده ومسائله، ومع ذلك فهو يتجاسر على الحديث فيه مع عدم علمه بقواعد وأساليب العرب التي نزل القرآن بلغتهم، ولم يكتف أبو حيان بهذا بل رد عليه وبين الصواب في ذلك.

---

(١) الوافي بالوفيات ٥/٢٦٨.

Twitter: @almosahm

ومن الأمثلة على هذا قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [1]. قال الرازي: قال المحققون: دخول اللفظ المهمل الوضع في كلام أحكم الحاكمين غير جائز، ، وهنا يجوز أن تكون (ما) استفهاماً للتعجب، تقديره: فبأي رحمة من الله لنت لهم، وذلك بأن جنايتهم لما كانت عظيمة، ثم إنه ما أظهر ألبتة تغليظاً في القول ولا خشونة في الكلام علموا أن هذا لا يتأتى إلا بتأييد رباني قبل ذلك [2] ، انتهى كلامه، وما قاله المحققون صحيح لكن زيادة ما للتوكيد لا ينكره في أماكنه من له أدنى تعلق بالعربية فضلاً عن من يتعاطى تفسير كلام الله، وليس ما في هذا المكان مما يتوهمه أحد مهملاً، فلا يحتاج ذلك إلى تأويلها بأن يكون استفهاماً للتعجب، ثم إن تقديره ذلك: فبأي رحمة، دليل على أنه جعل (ما) مضافة للرحمة، وما ذهب إليه خطأ من وجهين، أحدهما: أنه لا تضاف ما الاستفهامية ولا أسماء الاستفهام غير (أي) بلا خلاف، و(كم) على مذهب أبي إسحاق، والثاني: أنه إذا لم تصح الإضافة فيكون إعرابه بدلاً، وإذا كان بدلاً من اسم الاستفهام فلا بد من إعادة همزة الاستفهام في البدل، وهذا الرجل

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٢) التفسير الكبير ٩/ ٦٤، ٦٥.

Twitter: @almosahm

لحظ المعنى ولم يلتفت إلى ما تقرر في علم النحو من أحكام الألفاظ، وكان يغنيه عن هذا الارتباك والتسلق إلى ما لا يحسنه والتسور عليه قول الزجاج في (ما) هذه، أنها صلة فيها معنى التوكيد بإجماع النحويين [١][٢]، ومما قاله فيه: وهذا كلام من لم يقف على علم النحو ولا نظر فيه، وهذا لا يذهب إليه مبتدئ في علم النحو، فضلاً عمن صنف فيه، وقدم على تفسير كتاب الله»[٣].

وقد يكتفي أبو حيان بنقل رد غيره عليه، قال – رحمه الله تعالى – في تفسير قوله تعالى: ﴿ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[٤]، وقال الرازي: تقديره: لهم درجات[٥]، قال بعض المصنفين راداً عليه: اتبع الرازي في ذلك أكثر المفسرين بجهله وجهلهم بلسان العرب؛ لأن حذف لام الجر هنا لا مساغ له؛ لأنه إنما تحذف لام الجر في مواضع الضرورة، أو لكثرة الاستعمال، وهذا ليس من تلك المواضع[٦].

وقد يكتفي بالحكم على كلامه دون مناقشته وبيان الصواب

---

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ١/ ٤٨٢.

(٢) البحر المحيط ٣/ ٩٧، ٩٨.

(٣) البحر المحيط: ٧/ ٤٤٨.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٦٣.

(٥) التفسير الكبير ٩/ ٧٧.

(٦) البحر المحيط: ٢/ ١٠٢.

Twitter: @almosahm

في المسألة، كقوله: «وهو كلام غير نحوي»[(١)].

أما أطول موقف لأبي حيان في تفسيره مع الرازي فهو عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ ﴾[(٢)]، حيث وقف أبو حيان مدافعاً عن شيخ العربية سيبويه عندما تجاسر عليه الرازي وقال عنه ما لم يقله[(٣)]، وذلك من خمسة أوجه، فقام أبو حيان يرد على الرازي، مبرئاً سيبويه مما نسبه إليه، ومتهماً إياه بتحريف كلام سيبويه وتخليطه، ومتعجباً منه وتجاسره على الرد عليه، قال – رحمه الله تعالى: «وقد تجاسر أبو عبدالله محمد بن عمر المدعو بالفخر الرازي ابن خطيب الري، وقال عنه ما لم يقله، فقال: الذي ذهب إليه سيبويه ليس بشيء، ويدل على فساده وجوه: الأول أنه طعن في القراءة المنقولة بالتواتر عن الرسول وعن أعلام الأمة، وذلك باطل قطعاً، قلت: هذا تقول على سيبويه وقلة فهم عنه، ولم يطعن سيبويه على قراءة الرفع، وما ذكره الرازي لا يتفرع على كلام سيبويه بوجه، والعجب من هذا الرجل وتجاسره على العلوم، حتى صنف في النحو كتاباً سماه المحرر وسلك فيه طريقة غريبة بعيدة

---

(١) البحر المحيط: ١/ ٢١، ٣/ ٢٨٥.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٣٨.

(٣) التفسير الكبير ١١/ ٢٢٩، ٢٣٠.

Twitter: @almosahm

من مصطلح أهل النحو ومن مقاصدهم، وهو كتاب لطيف محتو على بعض أبواب العربية، وقد سمعت شيخنا أبا جعفر بن الزبير يذكر هذا التصنيف، ويقول إنه ليس جارياً على مصطلح القوم، وإنما سلكه في ذلك من التخليط في العلوم، ومن غلب عليه فن ظهر فيما يتكلم به من غير ذلك الفن أو قريباً منه من هذا المعنى، ولما وقفت على هذا الكتاب بديار مصر رأيت ما كان الأستاذ أبو جعفر يذم من هذا الكتاب ويستزل عقل فخر الدين في كونه صنف في علم وليس من أهله، وكان أبو جعفر يقول: لكل علم حد ينتهي إليه، فإذا رأيت متكلماً في فن ما ومزجه بغيره فاعلم أن ذلك إما أن يكون من تخليطه وتخبيط ذهنه، وإما أن يكون من قلة محصوله وقصوره في ذلك العلم، فتجده يستريح إلى غيره مما يعرفه»[(١)].

ولا عجب أن يقف أبو حيان مع الرازي هذا الموقف الحازم الشديد؛ لأنه تهجم وتجاسر على إمام النحو سيبويه، الذي كان أبو حيان يسميه الإمام إجلالاً له وتقديراً[(٢)]، ولكتابه عند أبي حيان مكانة سامية ومنزلة رفيعة، فهو يرى أن مما برع أهل الأندلس فيه إقراءهم الكتاب منذ أعصار دون غيرهم مع شرحه وبيانه، وحق له

(١) البحر المحيط: ٣/ ٤٧٦-٤٨٢.

(٢) البحر المحيط: ١/ ٢٥٦.

Twitter: @almosahm

ذلك فهو المعول عليه في هذا الفن، ولا يستغني عنه من رام الكتابة في التفسير [١] ، وعندما ذكر العلوم التي يحتاج إليها المفسر قال: «الوجه الثاني: معرفة الأحكام التي للكلم العربية من جهة إفرادها ومن جهة تركيبها، ويؤخذ ذلك من علم النحو، وأحسن موضوع فيه وأجله كتاب أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه – رحمه الله تعالى [٢] ، كما يرى أبو حيان أن كثيراً من الوجوه الإعرابية لا يعرفها إلا من له إطلاع على كتاب سيبويه وقراءة فيه» [٣] .

❑❑❑

(١) البحر المحيط: ١/ ٣.

(٢) البحر المحيط: ١/ ٦.

(٣) البحر المحيط: ١/ ٢١، ٧/ ٣٨٦.

Twitter: @almosahm

المبحث الرابع:

اعتراضات أخرى

أبو حيان من أئمة التفسير الذين لهم شخصية واضحة ووقفات متأنية تجاه ما ينقلونه عن غيرهم، قبولاً وتأثراً به، أو رفضاً ورداً عليه، وبياناً للصواب الواجب اتباعه ومن ذلك:

أنه يرى وجوب الاعتداد بالقراءات الثابتة والاعتماد عليها، ولا يجوز تخطئتها ولا الطعن فيها أو النيل من قرائها، كما أنه لا يجوز ترجيح بعض القراءات المتواترة على بعض؛ لأنها في درجة واحدة في الثبوت عن النبي ﷺ.

قال – رحمه الله تعالى: «وهذا الترجيح الذي يذكره المفسرون والنحويون بين القراءتين لا ينبغي؛ لأن هذه القراءات كلها صحيحة، ومروية ثابتة عن النبي ﷺ، ولكل منها وجه ظاهر حسن في العربية، فلا يمكن ترجيح قراءة على قراءة» [(١)]. وقال أيضاً: «وقد تقدم أني لا أرى شيئاً من هذه التراجيح؛ لأنها كلها متواترة قرآناً، فلا ترجيح في إحدى القراءتين على الأخرى» [(٢)].

---

(١) البحر المحيط: ٢/ ٢٦٥.

(٢) البحر المحيط: ٢/ ٥٠٦.

Twitter: @almosahm

وقال أيضاً: «وقد تقدم لنا غير مرة أنا لا نرجح بين القراءتين المتواترتين، ثم أثنى على ثعلب الذي نهج هذا الأمر بقوله: «وقال ثعلب من كلام نفسه: إذا اختلف الإعراب في القرآن عن السبعة لم أفضل إعراباً على إعراب في القرآن فإذا خرجت إلى الكلام كلام الناس فضلت الأقوى، ونعم السلف لنا أحمد بن يحيى، كان عالماً بالنحو واللغة متديناً ثقة» [(١)].

لذا فقد رد على الرازي ترجيح إحدى القراءتين المتواترتين على الأخرى في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾ ﴾ [(٢)]، حيث قال: «وقرأ حفص (يؤتيهم) بالياء ليعود على اسم الله قبله، وقرأ الباقون بالنون على الالتفات ومقابلة (وأعتدنا) [(٣)] وقول أبي عبدالله الرازي: قراءة النون أولى من وجهين، أحدهما: أنه أفخم والآخر: أنه مشاكل لقوله (وأعتدنا) ليس بجيد، ولا أولوية في ذلك؛ لأن القراءتين كلتيهما متواترة، هكذا نزلت وهكذا أنزلت» [(٤)].

---

(١) البحر المحيط ٤/ ٨٧، وانظر: ٢/ ١٥٨، ٤/ ١١، ٨/ ٣٢٥.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٥٢.

(٣) ينظر: السبعة ٢٤٠، النشر ٢/ ٢٥٣.

(٤) التفسير الكبير ١١/ ٩٥، البحر المحيط: ٣/ ٣٨٦.

Twitter: @almosahm

ومن الفرق التي شدد أبو حيان النكير عليها الصوفية، فقد فضحهم وأبان عوارهم وحذر المسلمين من ضلالاتهم وخرافاتهم، رحمة بالأمة وشفقة عليها من أولئك الضلال المرتزقة، وإن شحنت بعض كتب التفسير بأقوالهم وأعلامهم [(١)] وقد يسرد بعض أعلامهم تحذيراً للأمة من شرورهم، فبعد أن سرد جملة من أسماء مشاهيرهم قال: «إنما سردت أسماء هؤلاء نصحاً لدين الله، يعلم الله ذلك، وشفقة على ضعفاء المسلمين وليحذروا، فهم شر من الفلاسفة الذين يكذبون على الله تعالى ورسوله، ويقولون بقدم العالم وإنكار البعث، وقد أولع جهلة ممن ينتمي للتصوف بتعظيم هؤلاء وادعائهم أنهم صفوة الله وأولياؤه» [(٢)]. ويحكي جهلهم بأحكام الإسلام وولعهم بالحكايات الباطلة بقوله: «وأما التباهي بالزيارة ففي هؤلاء المنتمين إلى التصوف أقوام ليس لهم شغل إلا زيارة القبور، زرت قبر سيدي فلان بكذا وقبر فلان بكذا، والشيخ فلاناً بكذا والشيخ فلاناً بكذا، فيذكرون أقاليم طافوها على قدم التجريد، وقد حفظوا حكايات عن أصحاب تلك القبور وأولئك المشايخ، بحيث لو كتبت لجاءت أسفاراً، وهم مع ذلك لا يعرفون فروض الوضوء ولا سننه» [(٣)].

---

(١) ينظر: البحر المحيط: ١/ ٥، ٢٧، ١٣٣، ١٦٠.

(٢) البحر المحيط: ٣/ ٤٤٩، وانظر: ٢/ ٤٨١.

(٣) البحر المحيط: ٨/ ٥٠٧ – ٥٠٨، وانظر بعض مواقفه مع الصوفية: البحر المحيط: ١/ ١٣٣، ٤٥٦، ٢/ ٤٨١، ٣/ ٥١٢، ٤/ ١٤٥، ١٦٨، ١٧٤، ٣١١، ٥/ ٣٢، ٩٣، ٣٧٥، ٦/ ٧٦، ١٤٧، ١٥٦، ٧/ ٢٣٦، ٨/ ١١٦، ١١٩.

Twitter: @almosahm

فكيف مع هذا كله تنقل أقوالهم في تفسير كلام الله عز وجل، أو تسلك طريقتهم في بيان معنى الآيات ومفرداتها، وهذا ما أنكره على الرازي عند تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [(١)]، بقوله: «قال أبو عبدالله الرازي: الأرواح المقدسة البشرية إذا تطهرت عن دنس الأوصاف البدنية والقاذورات الجسدانية أشرقت بأنوار الجلال وتجلى فيها أضواء عالم الجمال، وترقت من العبدية إلى العندية، بل كأنه لا كمال في العبدية إلا بمشاهدة الحقيقة العندية، ولذلك قال تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ [(٢)] انتهى، وهو شبيه بكلام الصوفية» [(٣)].

❐❐❐

(١) سورة التوبة، الآية: ٢٠.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ١.

(٣) التفسير الكبير ١٦/ ١٥، البحر المحيط: ٥/ ٢١.

Twitter: @almosahm

Twitter: @almosahm

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد: فبعد كتابة هذا البحث تبينت لي النتائج التالية:

- إمامة العالمين الجليلين الفخر الرازي وأبي حيان الأندلسي وتقدمهما في العلم، حيث طلباه منذ الصغر ورحلا من أجله وتلقياه من الشيوخ، ثم جلسا لتعليم الطلاب ونفع الأمة، وكتبا في علوم شتى المؤلفات النافعة، ومن ذلك التفسير الكبير والبحر المحيط.
- يجمع الفخر الرازي وأبا حيان مذهبُ الأشاعرة في العقيدة، ومذهبُ الشافعية في الفقه وأصوله، وجلالة وإمامة في عصرهما، مع بروز شخصيتهما المستقلة والمبدعة فيما كتباه، وتنوع مصادرهما وكثرتهما، ومن ذلك التفسير، ثم تأثيرهما الواضح فيمن جاء بعدهما.
- ترجح لدي فيما كتبه المتقدمون والمتأخرون في مسألة إكمال الرازي تفسيره ما ذهب إليه الدكتور محسن عبدالحميد، وهو أن التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب الموجود بين أيدينا هو من تأليف الرازي كاملاً، لأدلة كثيرة

Twitter: @almosahm

ذكرها تؤيد ما ذهب إليه، أفادها بعد قراءته التفسير كاملاً.

- من الذين تأثر بهم أبو حيان الفخر الرازي، وقد اعتمد في ذلك منهجاً التزمه وطريقة سار عليها، مع ظهور شخصيته، ومن ذلك المناسبات التي نقلها أبو حيان، وفي الغالب أنه لا يعزوها إليه، وغالب ما نقله عنه في المناسبات بين الآيات، أما ما يكون بين السورة فقليل.
- أفاد أبو حيان مما ضمه التفسير الكبير من أقوال المفسرين وطريقته في عرضها، تارة يصرح بأنه نقلها منه وأخرى لا يصرح، وقد يتصرف فيما يذكره الرازي من اللطائف والاستنباطات الدقيقة من الآيات، وكان لأبي حيان شخصيته الواضحة في هذا كله، من حيث حسن الاختيار والانتقاء، والترجيح والاختيار، والمناقشة والتوجيه.
- نقل أبو حيان عن الرازي ما ذكره من أسئلة ترد في تفسير الآية مع الإجابة عليها، ومما نقله توجيه معنى آية أو إجابة عن إشكال قد يرد في تفسيرها أو دفع ما يوهم التعارض أو التناقض في معناها، مع التصرف اليسير والتلخيص.
- توسع الرازي في تفسيره بذكر المسائل العلمية والأمور

Twitter: @almosahm

الكونية وتحدث عن أسرار علوم الهيئة والفلك والنجوم وطبائع المخلوقات وأسرار تكوينها مما له ارتباط بالآيات، وقد أفاد أبو حيان منه ذلك مع الاختصار، استدلالاً بها على بيان عظمة الله واستجابة لأمر الله بالتفكر في مخلوقاته.

- اهتم الرازي بالحديث عن أصول الدين وبخاصة إثبات ألوهية الله عز وجل والمعاد والنبوة والقضاء والقدر حديثاً مفصلاً مدعماً بالأدلة، وقد نقل عنه أبو حيان الكثير من هذا مع تلخيص كلامه، كما أفاد منه أيضاً الرد على المعتزلة وبخاصة الزمخشري، وحيناً يرتضي تفسيره بديلاً عن تفسير الكشاف في بعض المواضع.

- نقل أبو حيان من التفسير الكبير بعض المسائل الأصولية والقواعد الفقهية المستنبطة من الآيات، وكان في الغالب لا يعزوها إلى الرازي، وقد يقتصر أبو حيان على ذكر مسألة أصولية ويحيل إلى الكتب التي توسعت في ذكر فروعها وأدلتها.

- ذكر أبو حيان منهجه في كتابة تفسيره في المقدمة، والتزم عدم التطويل في ذكر مسائل النحو والصرف وأصول الدين والفقه ونحو ذلك، وإنما يذكر المسلم منها، ويحيل إلى كتبها الأصول للتوسع والنظر فيها، كما التزم أن يطهر

Twitter: @almosahm

تفسيره من القصص الباطلة والحكايات الغريبة ونحو ذلك، وانتقد من خالف هذا المنهج، ومنهم الرازي في تفسيره.

- نفور أبي حيان من الفلاسفة وكلامهم قديم، منذ طلبه العلم في أول حياته، حيث فر خشية أن يلزم بتعلمه من بلاده الأندلس إلى المشرق، وقد شنع على من يذكر كلامهم وينتحل طريقتهم ويولع بنقل إشاراتهم الفلسفية، ومن أولئك الرازي في تفسيره، الذي لم يكتف بهذا بل كان يسميهم حكماء الإسلام، والحق عند أبي حيان أنهم أجهل الناس بالله وبأنبيائه، وهم منافقون يتسترون بالإسلام خوف القتل الذي أعمله فيهم بعض حكام المسلمين.

- الرازي عند أبي حيان غير عالم بالنحو، بل يجهل الكثير من قواعده ومسائله، ومع ذلك فهو يتجاسر على الحديث فيه مع عدم علمه به، لذا فقد رد عليه وبين الصواب فيما أخطأ فيه، وبخاصة عندما نال من إمام العربية سيبويه، وقد كان أبو حيان يجله ويحترمه.

- مما اعترضه أبو حيان على الرازي نقله في تفسيره كلام الصوفية، الذين أضلوا الناس بجهالتهم وبدعهم، أو تفسيره الآيات بما يشبه كلام الصوفية، ومما أنكره عليه الترجيح بين القراءات المتواترة، وهذا لا يصح؛ لأنها كلها قرآن ثابت

Twitter: @almosahm

بالتواتر عن النبي ﷺ، والتفضيل إنما يكون في كلام الناس.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

❐❐❐

Twitter: @almosahm

Twitter: @almosahm

ثبت المصادر والمراجع

- الإحاطة في أخبار غرناطة – لسان الدين الخطيب – مكتبة الخانجي – القاهرة – الطبعة الأولى: ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.
- الإمام الحكيم فخر الدين الرازي – عبدالعزيز المجذوب – الدار العربية للكتاب – ليبيا – تونس – الطبعة الثانية: ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- البحر المحيط – أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي – دار الفكر – بيروت، الطبعة الثانية – ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- البداية والنهاية – إسماعيل بن عمر بن كثير – دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- بغية الوعاة – عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي – دار الفكر – بيروت، الطبعة الثانية: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- التفسير الكبير، محمد بن عمر الرازي، دار الكتب العلمية، طهران، الطبعة الثانية.
- التفسير ورجاله، محمد الفاضل بن عاشور، دار سحنون، تونس: ١٩٩٩م.
- التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون.

Twitter: @almosahm

- الدرر الكامنة، أحمد بن حجر العسقلاني، دار الجيل، بيروت، مصورة عن طبعة دائرة المعارف بحيدر آباد الدكن، الهند، ١١٣٥هـ.
- الرازي مفسراً، محسن عبدالحميد، دار الحرية، بغداد: ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
- السبعة في القراءات، أبو بكر أحمد بن موسى بن مجاهد، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبدالحي بن العماد الحنبلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون.
- طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين عبدالوهاب بن علي السبكي، تحقيق محمود الطناحي وعبدالفتاح الحلو، دار إحياء الكتب، القاهرة، بدون.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ووجوه التأويل، جار الله محمود بن عمر الزمخشري، دار المعرفة، بيروت، بدون.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبدالله القسطنطيني، المعروف بحاجي خليفة، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، بدون.

Twitter: @almosahm

- لسان الميزان، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، طبع في حيدر آباد، من منشورات الأعلمي، بيروت، الطبعة الثانية: ١٣٩٠هـ.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبدالحق بن غالب بن عطية، تحقيق المجلس العلمي بفاس، توزيع مكتبة ابن تيمية، القاهرة، بدون.
- معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، تحقيق عبدالجليل شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي – تحقيق شعيب الأرناؤوط وصالح عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تغري بردي الأتابكي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، مصورة عن طبعة دار الكتب.
- النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد بن الجزري،

Twitter: @almosahm

تحقيق علي الضباع، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون.

- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، بعناية س ديد رينغ، جمعية المستشرقين الألمانية، الطبعة الثانية: ١٣٨٩هـ - ١٩٧٠م.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار إحياء التراث العربي، دار صادر، بيروت، بدون.

Twitter: @almosahm